الحِصْنُ الحَصِينُ
مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

غراس للنشر والتوزيع

الكويت ـ الجهراء ـ ص.ب ٢٨٨٨ الرمز البريدي ١٠٣٠.

هاتف: ٤٥٧٨٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٧٨٨٦٨

الحِصْنُ الحَصِينُ
مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

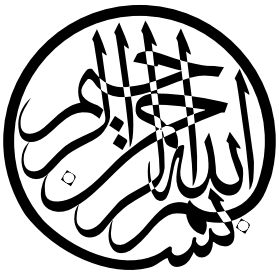

الـمُـقَـدِّمَـةُ

إنَّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله منْ شرورِ أنفسنَا وسيئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ، ومنْ يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشْهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ.. فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

«إنَّ اللهَ ﷻ ابتلى هذا الإنسانَ بعدوٍّ لا يفارقُهُ طرْفةَ عينٍ، وصاحبٍ لا ينامُ عنهُ، ولا يغْفُلُ عنهُ، يراهُ هوَ وقبيلُهُ منْ حيثُ لا يراهُ، يبْذُلُ جَهْدَهُ في معاداتهِ في كلِّ حالٍ، ولا يدعُ أمراً يكيدُهُ بهِ يقْدرُ على إيصالهِ إليه إلَّا أوْصلَهُ إليهِ، ويستعينُ عليهِ ببني أبيهِ منْ شياطينِ الجنِّ، وغيرهمْ منْ شياطينِ الإنْسِ؛ فقد نصبَ لهُ الحبائلَ، وبغى لهُ الغوائلَ، ومَدَّ حولَهُ الأشْراكَ، ونَصَبَ لهُ الفِخَاخَ والشِّباكَ، وقالَ لأعْوانهِ: دونَكُمْ عدوَّكمْ وعدوَّ أبيكم لا يفوتنَّكُمْ! ولا يكُنْ حظُّهُ الجنَّةَ وحظُّكمُ النَّارَ، ونصيبُهُ الرحمةَ ونصيبُكُمُ اللَّعنةَ، وقدْ علمتمْ أنَّ ما جرى عَلَيَّ وعليكُمْ منَ الخِزْي

واللَّعنِ والإبعادِ منْ رحمةِ اللهِ فبسببهِ ومنْ أجلهِ؛ فابذلوا جَهدَكُمْ أنْ يكونوا شركاءَنَا في هذهِ البَلِيَّةِ؛ إذْ قدْ فاتنا شرْكةُ صالحيهم في الجنَّةِ.

وقدْ أعلمنا اللهُ ﷻ بذلكَ كلِّهِ منْ عدوِّنا، وأمرَنَا أنْ نأخذَ لهُ أهْبَتَهُ، ونعدَّ لهُ عُدَّتَهُ»[1]. وأكثرَ في كتابهِ من ذكرِ قصَّةِ إبليسَ مع آدمَ عليه السلام لتكونَ نصبَ أعيننا دائماً.

ولـمَّـا كـانَ الـنَّـاسُ فـي هـذهِ الأيَّـامِ فـي غـفْـلـةٍ عـنْ عـدوِّهـم الأوَّل، وَفَّقَني اللهُ تعالى لجمعِ هذا البحثِ تذكيراً بعداوةِ الشَّيطانِ وحَثّاً على مجاهدتهِ، راجياً مِنَ اللهِ تعالى أنْ ينفعَني بهِ أوَّلاً، وأنْ ينفعَ بهِ منْ يقرؤُهُ منَ المسلمينَ.

أسألُ اللهَ العظيمَ أنْ يتقبَّلَهُ بقبولٍ حسنٍ. إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ.

الراجي عفوَ رَبِّه

عبد الهادي بن حسن وهبي[2]

---

(١) الداء والدواء (ص١٤٨ ـ ١٤٩) طبعة دار ابن الجوزي.

(٢) ص.ب: ١٣/٦٠٩٣ شوران ـ بيروت ـ لبنان.

هاتف: ٠٣/٦٢٦٧٨٧ ـ ٠١/٧٩١٠٥١

فاكس: ٠١/٧٩١٠٥١

التَّمْهِيدُ
التَّحْذِيرُ مِنْ شُرُورِ الشَّيْطَانِ

إنَّ اللهَ ﷻ بحكمتهِ سلَّطَ على العبدِ عَدُوّاً عالماً بطرقِ هلاكهِ وأسبابِ الشَّرِّ الذي يُلقيهِ فيهِ؛ مُتَفَنِّناً فيهَا، خبيراً بهَا، حريصاً عليهَا، لا يفترُ يَقَظَةً ولا مناماً. ولهذا جاءَ ذِكْرُ هذا العدوِّ وشأنهِ وجنودهِ ومكايدهِ في القرآنِ كثيراً جدّاً لحاجةِ النُّفوسِ إلى معرفةِ عدوِّها وطُرقِ محاربتهِ ومجاهدتهِ.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وهذا أقصى التحذير وغايته.

فلا يكفي العلمُ بأنَّهُ عدوٌّ عظيمٌ ظاهرُ العداوةِ فَحَسْبٌ؛ بلْ عليهمْ أنْ يتَّخذوهُ عدوّاً؛ لأنَّ عداوتهُ عامَّةٌ قديمةٌ، ولأنَّ العداوةَ التي بيننَا وبينَهُ أعظمُ مِنَ العداوةِ التي بين الشَّاةِ والذئبِ. فكيفَ يليقُ بالعاقلِ أنْ يواليَ عدوَّهُ وعدوَّ وليِّهِ ومولاه الذي لا مولى لهُ سواه؟!.

«والأمرُ باتخَاذِهِ عَدُوّاً تنبيهٌ على استفراغِ الوسعِ في محاربتهِ ومجاهدتهِ، كأنَّهُ عدُوٌّ لا يفترُ ولا يقصِّرُ في محاربةِ العبدِ على عددِ الأنفاسِ»[1].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦).

فاتخاذهُ عدوّاً أنفعُ شيءٍ للعبدِ، وهو محبوبٌ للرَّبِّ. واتخاذُهُ عدوّاً منْ أكبرِ أنواعِ العبوديَّةِ وأَجَلِّهَا؛ فإنَّ لهذهِ العبوديَّةِ شأناً ليسَ لغيرهَا.

عجباً لمنْ عصى المحسنَ بعدَ معرفتهِ بإحسانهِ، وأطاعَ اللعينَ بعدَ معرفتهِ بعداوتهِ.

وقَصَّ اللهُ ﷻ علينا منْ عداوةِ الشَّيطانِ لأبينا آدم ـ عليه السلام ـ ما فيهِ العظةُ البالغةُ، فقدِ استطاعَ أن يُغْرِيَهُ بالأكلِ مِنَ الشَّجرةِ، وأنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الجنَّةِ[1] بكذبهِ وخداعهِ، وأنْ يُوقِعَهُ في مخالفةِ أمرِ اللهِ وارتكابِ نهيهِ؛ ثمَّ قالَ عقبَ ذلكَ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾[2] [الأعراف: ٢٧].

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص١١٨ ـ ١١٩): قال بعضُ السَّلَفِ: **آدمُ أُخْرِجَ من الجنَّةِ بذنْب واحدٍ، وأنتمْ تعملونَ الذنوبَ وتُكْثِرونَ منها، وتريدونَ أنْ تدْخلوا بها الجنَّةَ!** كما قيل:

تَصِلُ الذُّنوبَ إلى الذُّنوبِ وتَرْتَجي ... دَرَجَ الجنانِ بها وفوزَ العابدِ
ونسيتَ أنَّ اللهَ أخرجَ آدماً ... منها إلى الدُّنيا بذنبٍ واحدِ

وقال [القائلُ]:

بِفَرْدِ خطيئةٍ وبِفَرْدِ ذنبٍ ... من الجنَّاتِ أُخْرِجَتِ البرايا
قلْ ليَ كيفَ ترجو في دخولٍ ... إليها بالألوفِ من الخطايا

(٢) هذا محمول على الغالب، إذ لو كانت رؤيتهم محالاً لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه، ومن أنه كاد يربطه لينظروا إليه كلُّهم، ويلعب به ولدان أهل المدينة.

يحذِّرُ اللهُ ﷻ بني آدمَ منْ إبليسَ وقَبيلِهِ مبيِّناً لهمْ عداوتَهُ القديمةَ لأبي البشرِ آدم عليه السلام في إخراجهِ منَ الجنَّةِ ـ التي هي دارُ النَّعيمِ ـ إلى دارِ التَّعَبِ والكَدِّ والنَّكَدِ والعَناءِ [1]، والتَّسبُّبِ في هتكِ عورتهِ بعدمَا كانتْ مستورةً عنهُ، وما هذا إلا عنْ عداوةٍ أكيدةٍ؛ وزيادةً في التحذيرِ واستثارةً للحذرِ ينبئهمْ ربُّهمْ أنَّ الشّيطانَ يراهم هوَ وقبيلهُ منْ حيثُ لا يرونَه، وهيَ بلا شك صفةٌ خطيرةٌ حيثُ أنَّ صاحبَ هذهِ الصِّفةِ يملكُ أنْ يراقبَ الآخرينَ ويرصدَ حركاتهمْ وهم لا يرونَهُ، فبهذا يكونُ متحكِّماً فيهمْ أشدَّ تحكُّمٍ، يَكْمُنُ لخصمهِ، ويجمعُ قوَّتَهُ للوثوبِ عليهِ وثبةَ الأسدِ على فريستهِ، فيصطادهُ أتمَّ صيدهِ، بينَ قتيلٍ وصريعٍ، وأسيرٍ، وجريحٍ مثخنٍ بالجراحاتِ.

وتبقى هذهِ الصِّفةُ خطيرةً على بني آدمَ، فهمْ محتاجونَ إلى شدَّةِ الاحتياطِ وإلى مضاعفةِ اليقظةِ وإلى دوامِ الحذرِ، كي لا يأخُذَهمْ على غرَّةٍ.

قال مطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ رحمه الله: لو أنَّ رجلاً رأى صيداً والصيدُ لا يراهُ؛ أليسَ يوشكُ أنْ يأخذَهُ؟ قالوا: بلى، قال: **فإنَّ الشيطانَ يرانا ونحنُ لا نراهُ**[2]**، وهوَ يُصِيبُ منَّا**[3].

---

(١) قال ابنُ القَيِّم رحمه الله في «الفوائد» (ص٧١): «**فرحَ إبْليسُ بنزولِ آدمَ من الجنَّةِ، وما علمَ أنَّ هبوطَ الغائصِ خلفَ الدُّرِّ صعودٌ**».

(٢) ورحم الله من قال: «**إنْ كان يراك منْ حيث لا تراه، فاستَعِنْ بمنْ يراه من حيث لا يراه**».

(٣) تاريخ دمشق (٥٨/ ٣٠٢).

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

لمَّا دعَا اللهُ ﷻ الذينَ آمنوا أنْ يدخلوا في السِّلْمِ كافةً، حذَّرهمْ أنْ يتَّبعوا خطواتِ الشيطانِ؛ وذكَّرهمْ بعداوةِ الشيطانِ لهم تلكَ العداوةَ الواضحةَ البيِّنةَ التي لا ينساهَا إلا غافلٌ.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

أي: «لا تسلكوا الطُّرقَ التي يدعوكم إليها الشيطانُ»[1]، فإنَّه يوردكم مواردَ العطبِ.

وفي الآية الكريمةِ تنفيرٌ وتحذيرٌ منْ ذلكَ بأفصحِ عبارةٍ وأَبْلَغِهَا وأَوْجَزِهَا وأحْسَنِهَا.

وإنَّها لصورةٌ مستنكرةٌ أنْ يخطوَ الشيطانُ فيتَّبعُ المؤمنونَ خطاهُ، وهمْ أجدرُ النَّاسِ أنْ ينفروا مِنَ الشَّيطانِ وأنْ يسلكوا طريقاً غيرَ طريقهِ المشؤوم! صورةٌ مستنكرةٌ ينفرُ منها طبعُ المؤمنِ.

وعلى المؤمنِ أنْ يرفعَ قدمَهُ بسرعةٍ ويحوِّلهَا إلى طريقِ النُّورِ، عندمَا يكتشفُ أنَّ الخطوةَ التي أمامَهُ هي خطوةٌ منْ خطواتِ

(١) شرح السنة (١٤/ ٤٠٤) للبغوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشَّيطانِ، ويبتعدُ عنْ كلِّ عملٍ منْ أعمالِ الشَّيطانِ؛ تماماً كمَا قالَ عمرُ رضي الله عنه عندمَا قُرِئَتْ عليهِ الآيةُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] فقال: «انتهينا انتهينا»(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

نهاهمُ الله عز وجل عن اتِّباعِ خطواتِ الشَّيطانِ التي يأمرُ بهَا، وهيَ جميعُ المعاصي، وذَكَّرَهمْ بأنَّ الشَّيطانَ لهم عدوٌّ مبينٌ. فما بالهم يتَّبعونَ خطواتِهِ وهوَ العدوُّ المبين؟!.

ثمَّ لمْ يكتفِ ربُّنا عز وجل بذلكَ، حتىَّ أخبرنا بتفصيلِ ما يأمُرُ بهِ، وأنَّهُ أقبحُ الأشياءِ وأعظمُها مفسدةً فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩].

فمنْ وصفَ اللهَ بغيرِ ما وصفَ به نفسَهُ، أو وصفهُ بهِ رسولُهُ ﷺ، أو نفى عنهُ ما أثبتهُ لنفسهِ، ـ كالذي ينفي علوَّ الله على العرش ـ فقدْ قالَ على الله بلا علمٍ.

ومِنْ قال: إنَّ الله تعالى أحلَّ كذا أو حرَّمَ كذا، أو أمرَ

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٤٢).

بكذا، أو نهى عن كذا، بغيرِ بصيرةٍ، فقدْ قالَ على اللهِ بلا علمٍ.

ومنْ أعظمِ القولِ على اللهِ بلا علمٍ، أنْ يَتَأَوَّلَ المُتَأَوِّلُ كلامَ الله تعالى، أو يتأوَّلُ كلامَ النَّبيِّ ﷺ؛ كالذي يتأوَّلُ حديثَ النزولِ[1] ـ نزول الربِّ ﷻ في الثلثِ الأخيرِ من الليلِ إلى السَّماءِ الدنيَا ـ فيقولُ: إنَّ اللهَ تعالى منزَّهٌ عن النزولِ وإنَّ الذي ينزلُ أمرُهُ أو رحمتُهُ أو ملكٌ من الملائكةِ.

فالقولُ على الله بلا علمٍ منْ أكبرِ المحرَّماتِ وأشملِها وأكبرِ طرقِ الشَّيطانِ التي يدعو إليهَا.

فهذهِ طرقُ الشَّيطانِ[2] التي يدعو إليهَا هوَ وجنودهُ، ويبذلونَ

---

(١) قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «طريق الهجرتينِ» (ص٢٩٥): «**ومن نزَّهه عن نزوله كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، ودنوه عشية عرفة من أهل الموقف، ومجيئه يوم القيامة للقضاء بين عباده، فراراً من تشبيهه بالأجسام، فقد شبَّهه بالجماد الذي لا يتصرَّف ولا يفعل ولا يجيء ولا يأتي ولا ينزل**».

(٢) قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائد» (ص٣٣٤): كلُّ ذي لُبٍّ يعلمُ أَنَّه لا طريقَ للشيطانِ عليه إلَّا من ثلاثِ جِهاتٍ:

أحدُها: التزيُّدُ والإسرافُ، فيزيدُ على قَدْرِ الحاجَة، فتصيرُ فضلةً وهي حظُّ الشيطانِ ومدخلُه إلى القلبِ.

وطريقُ الاحترازِ منه: إعطاءُ النَّفسِ تمامَ مطلوبِها من غذاءٍ أو نومٍ أَو لذةٍ أو راحةٍ، فمتى أَغلَقْتَ هذا البابَ حصلَ الأَمانُ من دخولِ العدوِّ منه.

الثانيةُ: الغفلةُ؛ فإنَّ الذَاكرَ في حِصنِ الذِّكرِ، فمتى غفلَ فُتِحَ بابُ الحِصنِ، فولجَه العدوُّ، فيعسُرُ عليه أو يصعبُ إخراجُهُ.

الثالثةُ: تكلُّفُ ما لا يَعنيه من جميعِ الأشياءِ.

مكرَهمْ وخداعَهمْ على إغواءِ الخلقِ بما يقدرونَ عليهِ[1].

ومن شرِّه: أنَّهُ يأمرُ بالبخلِ ويمنعُ مِنَ الإنفاقِ ويأمرُ بالفواحشِ.

قال ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أخبر ﷻ أنَّ الذي يدعوهم إلى البخلِ والشُّحِ هو الشَّيطانُ، وأخبرَ أنَّ دعوتَهُ هي بما يعدهُمْ بهِ ويخوِّفهم مِنَ الفقرِ إنْ أنْفقوا أموالَهم، وهذا هوَ الدَّاعي الغالبُ على الخلقِ، فإنَّهُ يهمُّ بالصَّدقةِ والبذلِ، فيجدُ في قلبهِ داعياً يقولُ لهُ: متى أخْرَجْتَ هذا دَعَتْكَ الحاجةُ إليهِ، وافتقرتَ إليهِ بعدَ إخراجهِ، وإمْساكهُ خيرٌ لكَ حتى لا تبقى مثلَ الفقيرِ، فغناكَ خيرٌ لكَ من غناهُ. فإذا صوَّرَ لهُ هذهِ الصُّورةَ أمرهُ بالفحشاءِ، وهي البخلُ الذي هو منْ أقْبحِ الفواحشِ.

عن جابرٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَيِّدُكُم يا بَنِي سَلِمَةَ؟**» قلنا: جُدُّ بن قيس، على أنَّا نبخِّله، قال: «**وأيُّ داءٍ أدوى من البُخْلِ؟**»[2].

فهذا وعدهُ وهذا أمرهُ، وهو الكاذبُ في وعدهِ، الغارُّ

---

(١) راجع تيسير الكريم الرحمن (ص٨١)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٧).

الفاجرُ في أمرِهِ، فالمستجيبُ لدعوتِهِ مغرورٌ مخدوعٌ مغبونٌ، فإنَّه يدلِّي منْ يدعوهُ بغرورِهِ، ثمَّ يوردُهُ شرَّ الموارِدِ كمَا قيلَ:

دلَّاهم بغرورٍ ثمَّ أَوْرَدَهُم إنَّ الخبيثَ لِمَنْ وَالَاهُ غَرَّارُ

هذا وإنَّ وعدَهُ[1] لهُ الفَقْرَ ليسَ شفقةً عليهِ، ولا نصيحةً لهُ ـ كما ينصحُ الرَّجلُ أخاهُ ـ ولا محبَّةً في بقائهِ غنيّاً، بل لا شيءَ أحبُّ إليهِ منْ فقرِهِ وحاجتِهِ، وإنَّما وَعْدُهُ لهُ بالفقرِ، وأَمْرُهُ إيَّاه بالبخلِ، لِيُسِيءَ ظنَّهُ بربِّهِ، ويتركَ ما يحبُّهُ مِنَ الإنفاقِ لوجهِهِ، فيستوجبُ مِنَ الحرمانِ.

وأمَّا الله ﷻ فإنَّهُ يَعِدُ عبدَهُ مغفرةً منهُ لذنوبِهِ، وفضْلاً بأنْ يُخْلِفَ عليهِ أكْثرَ ممَّا أنفقَ وأضعافَهُ، إمَّا في الدُّنيا أو في الدُّنيا والآخرةِ.

فهذا وعدُ اللهِ وذاكَ وعدُ الشَّيطانِ. فلينظر البخيلُ والمنفقُ أيَّ الوعدَيْنِ هو أوثقُ، وإلى أيِّهمَا يطمئنُّ قلبهُ وتسكنُ نفسهُ؟ والله يوفِّقُ منْ يشاءُ، ويخذلُ منْ يشاءُ، وهوَ الواسعُ العليمُ[2].

قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٥٤) [طبعة دار ابن القيم، الطبعة الثانية].

فاللهَ اللهَ عبادَ اللهِ، ثِقُوا بمولاكم جلَّ جلاله في الخَلَفِ، ولا تطيعوا الشَّيطانَ الذي يعدكُمُ الفقرَ والتَّلفَ.

ومن شرِّه: أنَّهُ يوسوسُ للعبدِ.

قال ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

فذكرَ وسوستَهُ أوَّلاً، ثمَّ ذكرَ محلَّها ثانياً، وأنَّها في صدورِ النَّاسِ.

والوسوسةُ أعظمُ صفاتِ الشَّيطانِ، وأشدُّها شرّاً، وأقواها تأثيراً، وأَعَمُّها فساداً، وهي أصلُ كلِّ معصيةٍ وبلاءٍ.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ في نَفْسِهِ ـ يُعَرِّضُ بالشَّيْءِ ـ لأنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فقَال: «**اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلى الْوَسْوَسَةِ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَاكَ**

(١) رواه أبو داود (٥١١٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٦٤).

صَرِيحُ الإِيمَانِ[1]»[2].

وحصولُ هذا الوسواسِ؛ مع هذهِ الكراهةِ العظيمةِ لهُ ودفعهِ عن القلبِ، هو منْ صريحِ الإيمانِ؛ كالمجاهدِ الذي جاءهُ العدوُّ، فدافعهُ حتَّى غلبهُ؛ فهذا أعظمُ الجهادِ و«**الصَّريحُ**» الخالصُ، كاللبنِ الصَّريحِ. وإنَّما صَارَ صريحاً،لمَّا كَرِهوا تلكَ الوساوسَ الشَّيطانيةَ وَدَفَعُوهَا فخلصَ الإيمانُ فصارَ صريحاً. والحمدُ لله الذي كانَ غايةُ كيدِ الشَّيطانِ الوسوسةَ.

والوسواسُ يعرضُ لكلِّ متوجِّهٍ إلى الله تعالى بذكرٍ أو غيرهِ، لابدَّ لهُ منْ ذلكَ، فينبغي للعبدِ أن يثبتَ ويصبرَ، ويلازمَ ما هوَ فيهِ من الذِّكرِ والصَّلاةِ، ولا يضجرُ، فإنَّهُ بملازمةِ ذلكَ ينصرفُ عنهُ كيدُ الشَّيطانِ، ﴿**إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:

---

(١) قال الإمام محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٢٦): «**ليس يعني أنَّ الوسوسةَ في نفسها هي صريح الإيمان، إنما يعني ما أظهروا له من الكراهة عن الخوف من الله** ﷻ، إذ اختاروا لأن يَخِرّوا من السماء على أنْ يتكلموا به، ولا تطيب نفسُ أحدٍ بأن تَخِرَّ من السماء، وأن تصيرَ حُمَمَةً إِلَّا شدَّة الخوف، فذلك الخوفُ هو صريحُ الإيمان، لأنَّه إذا وجدَ الوسوسة من طريقِ الشرك، نظر إلى ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الشركِ من العذاب وطابت نفسُهُ أن تكونَ حُمَمَةً، لأنَّ منْ نظرَ إلى شيءٍ من عذاب الله باليقين، كان ما دونه أهونُ عليه، وأَخَفُّ».

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «شجرة المعارف» (ص٥٩) تعاظمُ الوسوسةِ مسببٌ عن إجلال الله وتوقيره، فلذلك كان صريحَ الإيمان... أشار بقوله: «أوجدتموه» إلى الاستعظامِ.

(٢) رواه مسلم (١٣٢).

٧٦]، وكلَّما أرادَ العبدُ توجُّهاً إلى الله تعالى بقلبهِ جاءَ مِنَ الوسواسِ أمورٌ أخرى، فإنَّ الشَّيطانَ بمنزلةِ قاطعِ الطَّريقِ، كلَّما أرادَ العبدُ أنْ يسيرَ إلى الله تعالى أرادَ قطعَ الطَّريقِ عليهِ؛ ولهذا قيلَ لبعضِ السَّلفِ: إنَّ اليهودَ تزعمُ أنَّها لا تُوَسْوسُ في صلاتِها. فقال: وما يصنعُ الشَّيطانُ بالقلبِ الخرابِ؟!.

فإنَّ الشيطانَ لصُّ الإيمانِ، واللِّصُّ إنَّما يقصِدُ المكانَ المعمورَ، وأمَّا المكانُ الخرابُ الذي لا يرجو أنْ يظفرَ منهُ بشيءٍ فلا يقصدهُ.

ولهذا يعرضُ للنَّاس مِنَ الوساوسِ في الصَّلاةِ ما لا يعرِض لهم إذا لم يُصَلُّوا، لأنَّ الشَّيطانَ يكثرُ تعرُّضهُ للعبدِ إذا أرادَ الإنابةَ إلى ربِّهِ والتقرُّبَ إليه والاتصالَ بهِ؛ ولهذا يعرضُ للمصلينَ ما لا يعرضُ لغيرهمْ، ويعرضُ لخاصَّةِ أهلِ العلمِ والدِّينِ أكثر ممَّا يعرضُ للعامَّةِ، ولهذا يوجدُ عندَ طُلَّابِ العلمِ والعبادةِ مِنَ الوساوسِ والشُّبهاتِ ما ليسَ عندَ غيرهم، لأنَّهُ (أي الغير) لم يَسْلُكْ شرعَ الله ومنهاجَهُ، بلْ هوَ مقبلٌ على هواه في غفلةٍ عنْ ذكرِ ربِّهِ، وهذَا مطلوبُ الشَّيطانِ بخلافِ المتوجِّهينَ إلى ربِّهم بالعلمِ والعبادةِ، فإنَّه عدوُّهم يطلبُ صَدَّهمْ عنِ الله[1].

ومن شرِّه: أنَّه لصٌ سارقٌ لأموالِ النَّاسِ، فكلُّ طعامٍ أو شرابٍ لمْ يُذْكَرِ اسمُ الله تعالى عليهِ، فلهُ فيهِ حظٌّ بالسَّرقةِ،

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

وكذلكَ يَبِيتُ في البيتِ إذا لمْ يُذْكَرْ فيهِ اسمُ الله تعالى.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سمعَ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»[1].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامَاً، لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامَاً، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا**»[2].

فقدْ دَلَّ هذا الحديثُ: على مشروعيَّةِ التَّسْميةِ عندَ الطعامِ والشَّرابِ، وعلى بركتها، وعلى أنَّ للشَّيطانِ يداً، وأنَّهُ يصيبُ مِنَ الطَّعامِ إذا لم يذكر الله تعالى عليه[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

(٢) رواه مسلم (٢٠١٧).

(٣) المفهم (٥/ ٢٩٤).

ومن شرِّه: الإفسادُ بينَ المؤمنينَ بكلِّ طريقةٍ وحيلةٍ.

فالشَّيطانُ نزغَ بينَ يوسفَ عليه السلام وإخوتِهِ. قال سبحانه وتعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقدْ نبَّهنا رسولُ الله ﷺ إلى أنَّ الشَّيطانَ جاهدٌ كلَّ جهدِهِ في التحريشِ بين المصلِّينَ، والإغراءِ بينهم والتقاطع.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ الشَّيطانَ قدْ أَيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولكنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(١).

وهذا الحديثُ منْ معجزاتِ النُّبوةِ. ومعناه: أَيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ أهلُ جزيرةِ العربِ، ولكنَّهُ سعى في التَّحريشِ بينهمْ بالخصوماتِ والشَّحناءِ والحروبِ والفتنِ(٢)، والخلافِ والشُّرورِ، والعداوةِ والبغضاءِ بينهم، حتَّى تكونَ من ذلك أمثالُ تلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة(٣).

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أصبحَ إبْليسُ بَثَّ جُنودَهُ فيقولُ: مَنْ أَضَلَّ اليومَ مُسْلِماً أَلْبَسْتُهُ**

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٥٦).

(٣) المفهم (٧/ ٣١٠).

التَّاجَ، قال: فيخرجُ هذا فيقول: لَمْ أَزَلْ بهِ حتى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فيقولُ: يُوشِكُ أنْ يَتَزَوَّجَ، ويجيءُ هذا فيقولُ: لمْ أَزَلْ بهِ حتَّى عقَّ والدَيْهِ فيقولُ: أَوْشَكَ أنْ يَبَرَّ، ويجيءُ هذا فيقولُ: لمْ أَزَلْ بهِ حتَّى أَشْرَكَ فيقولُ: أنتَ أنتَ، ويجيءُ هذا فيقولُ: لمْ أَزَلْ بهِ حتَّى قَتَلَ فيقولُ: أَنْتَ أَنْتَ ويُلْبِسُهُ التَّاجَ»[1].

وعنْ جابرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُم فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»[2].

وقوله (نِعْمَ أنت): موضوعةٌ للمدْحِ فيمْدحهُ لإعجابهِ بصنْعهِ وبلوغهِ الغايةَ التي أرادهَا[3].

وفي الحديث: أنَّ الفُرقةَ بين الزوجين: تكونُ ـ غالباً ـ منْ إغواءِ سرايا إبليس، وأنَّها مِنَ الفتنِ العظيمةِ. وفيهِ تعظيمُ أمرِ الفراقِ والطَّلاقِ، وكثيرُ ضررهِ وفتنتهِ، وعظيمُ الإثمِ في السَّعي فيهِ، لما فيهِ منْ قطع مَا أمرَ الله بهِ أنْ يوصلَ، وشتاتِ ما جعلَ الله فيه رحمةً ومودَّةً، وهدمِ بيتٍ بُني في الإسلامِ وضياعِ

---

(١) رواه ابن حبان (٦١٨٩) بسند صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٥٧).

الأهلِ والأولادِ والمالِ[1].

ومن شرِّه: أنَّ العبدَ إذا خرجَ لما يبغضُ اللهَ، دنَا منهُ عدوُّهُ وأغشُّ الخلقِ وأعظمُهُمْ ضرراً لهُ، الذي شقاؤُهُ وفسادُهُ في قربهِ وموالاتهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ، يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ، إِلَّا بِبابِهِ رَايَتَانِ رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ ورَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خرجَ لمَا يُحِبُّ اللهُ عز وجل اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ المَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللهَ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**»[2].

فاحرصْ يا أخي أنْ يكونَ خروجكَ حقاً ثابتاً باللهِ وفي مرضاتهِ؛ لطلبِ علمٍ، وصلةِ رحمٍ، وعيادةِ مريضٍ، وزيارةِ أخٍ لكَ في الله، وقضاءِ حاجةٍ لهُ، وشهودِ جنازةٍ، وحضورِ جماعةٍ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: بينا نحنُ مع رسولِ الله ﷺ إذْ طلعَ شابٌّ من الثنيةِ، فلمَّا رأيناهُ رميناهُ بأبصارنا، فقلنا: لو أنَّ هذا الشابَ جعلَ شبابهُ ونشاطهُ وقوَّتهُ في سبيلِ الله! فسمعَ رسولُ الله ﷺ مقالَتنا فقال: «**وما سبيلُ اللهِ إلَّا مَنْ قُتِلَ؟ مَنْ سعى على والدَيْهِ ففي سبيلِ اللهِ، ومنْ سعى على عِيَالِهِ ففي سَبِيلِ الله،**

---

(١) انظر: إكمال المعلم (٨/ ٣٤٩)، و السراج الوهاج (١١/ ٢٧١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣) (٨٢٩٦) بسند صحيح.

ومن سعى على نَفْسِهِ يُعِفُّها فهُوَ في سبيلِ اللهِ، ومنْ سعى مُكَاثِراً ففي سبيلِ الشَّيطانِ»[1].

ومن شرِّه: إصرارهُ العنيدُ على ملاحقةِ الإنسانِ في كلِّ حالةٍ، وعلى إتيانهِ منْ كلِّ صَوْبٍ وجهةٍ، وعلى اتِّباعهِ في كلِّ ساعةٍ ولحظةٍ.

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قال: وعِزَّتِك يارَبِّ لا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبادَكَ ما دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ**[2]. **فقال الرَّبُّ: وَعِزَّتي وجَلَالِي لا أزالُ أغفرُ لهمْ ما اسْتَغْفَرُونِي»**[3].

وقولُهُ هذا يبيِّنُ إصْرارَهُ الشَّديدَ، ويصوِّرُ لنا مدى الجهدِ الذي يبْذلهُ لإضلالِ بني آدم؛ فهو ساعٍ على المرءِ فيما يفسدُ عليه دينَهُ، وله خبرةٌ طويلةٌ مديدةٌ في مجالِ الإضلالِ والإفساد؛ لذلكَ فإنَّهُ يجيدُ وضْعَ خططهِ، ونصبَ مصايدهِ وأحابيلهِ، ويسخِّرُ كلَّ إمكاناتهِ ووسائلهِ وخبراتهِ لكيدِ الإنسانِ وخذلانهِ.

وهذا يدفعنا لكمال «**الاحترازِ منهُ، والتحفُّظِ واليقظةِ،**

---

(١) رواه البزّار «كشف الأستار» (١٨٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والحديث صحيح [راجع: «السلسلة الصحيحة» (٢٢٣٢)].

(٢) أي لا أزالُ أُضِلُّ عِبَادَكَ المُكَلَّفِينَ الآدميين يعني: لأجتهدنَّ في إغوائهم بأيِّ طريقٍ ممكنٍ مدَّةَ حياتهم.
وفي الحديثِ إشعارٌ بتوهينِ كيدِ الشَّيطانِ ووعدٌ كريمٌ مِنَ الرَّحمن بالغفران.

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٢٦١)، وحسنه المحدث الألباني لقاه الله رضوانَهُ وأسْكَنَهُ فسيحَ جنانهِ في «صحيح الجامع» (١٦٥٠).

والانتباهِ لما يريدُ منا العدوُّ»[1].

فاحذرْ «هذا العدوَّ، فإنَّهُ على منازلِ الطريقِ لكَ بالمرصادِ، واعلمْ أنَّكَ ما دمتَ حاذراً منهُ، مُتَيَقِّظاً لهُ لا يَقْدِرُ عليكَ، فإذا غَفِلْتَ وَثَبَ عليك»[2].

ومن شرِّه: أنَّ الجنينَ إذا انْفَصَلَ اسْتَقْبَلَهُ وطَعَنَهُ في خاصرتهِ تحرُّقاً عليهِ وتغيُّظاً، واسْتقْبَالاً بالعداوةِ التي كانتْ بين الأبوينِ قديماً، وإنْذاراً منهُ لبدايةِ المعركةِ مع هذا المولود الجديد؛ فيبْكي المولودُ منْ تلكَ الطعْنةِ. فلا صلحَ ولا هوادةَ فليستْ بيومٍ وينقضي، وإنَّما هيَ حربٌ ضَروسٌ متَّصِلَةٌ بالموتِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما منْ مولودٍ يُولَدُ إلَّا والشَّيطانُ يَمَسُّهُ حينَ يُولَدُ فيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيطانِ إيَّاه إلا مريم وابنها**» واقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦][3].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صِيَاحُ المَوْلُودِ حينَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيطانِ**»[4].

ومعنى نَزْغَة: نَخْسَةٌ وَطْعَنةٌ ومنه قولهم: نَزَغَهُ بكلمةِ سوءٍ

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٢١).

(٢) تهذيب المدارج (ص٢٦٠).

(٣) رواه البخاري (٤٥٤٨).

(٤) رواه مسلم (٢٣٦٧).

أي رَمَاهُ بها[1].

ومن شرِّه: أنَّهُ يُرِي الإنسانَ مناماتٍ مخيفةً بقصدِ إيلامهِ وإحزانهِ ولا شيءَ أحبُّ إلى الشَّيطانِ منْ حزنِ المؤمنِ.

عنْ عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ. وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ، فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ. وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ**»[2].

وعنْ جابرٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله رأيتُ في المنام كأنَّ رأسي قُطعَ، فضحكَ النَّبيُّ ﷺ وقال: «**إذا لَعِبَ الشَّيطانُ بأَحَدِكُمْ في مَنَامِهِ فلا يُحَدِّثْ بهِ النَّاسَ**»[3].

ومن شرِّه: أنَّهُ حريصٌ على أن يُنْسِيَ العبدَ ما فيهِ خيرُهُ وصَلَاحُهُ.

ومنْ ذلكَ ما فعلهُ بآدمَ عليه السلام فما زالَ يوسوسُ لهُ حتَّى أنساهُ ما أمرهُ بهِ ربُّه. قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] وقال فتى موسى عليه السلام: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٢١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٨).

أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]. وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]. وقال ﷻ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

وعنْ عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً وَيَحْمَدُ عَشْراً وَيُكَبِّرُ عَشْراً، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ»** فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ[1]. قالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قالَ: **«يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِي مَنَامِهِ ـ يَعْنِي الشَّيْطَانُ ـ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا»**[2].

---

(١) اعلم رحمك الله بأنه يسنّ عقد التسبيح بالأنامل لهذا الحديثِ ولقول النبيِّ ﷺ: **«عليكُنَّ بالتَّسْبيح والتهليلِ والتقديسِ، واعْقِدْنَ بالأنامِلِ، فإنَّهُنَّ مسؤولاتٌ مستنطقاتٌ، ولا تَغْفُلْنَ فَتنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»**.

وأما التسبيح بالسبحة فهو أمر محدث. راجع كتاب «السبحة تاريخها وحكمها» للعلامة بكر أبو زيد حفظه الله تعالى.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٣٣).

فقد بيَّنَ رسول الله ﷺ السبب في قلَّةِ العملِ بهذا الذكر، بأنَّ الشيطان يأتي أحدنا عند نومه، ولم يزل يشغله بالوساوس حتى ينومه قبل أنْ يقوله، ثمَّ إذا انتبهَ وصلَّى، يأتيهِ في صلاتهِ، ولمْ يزلْ يوسوس له ويذكِّره أشياء ليست في خاطره، فيقوم ويذهب قبلَ أنْ يقوله.

وإذا تمكَّنَ الشيطانُ من الإنسانِ تمكُّناً كليّاً فإنَّه ينسيهِ اللهِ بالكليَّة، كما قال ﷻ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

وسبيلُ التذكُّرِ هو ذكْرُ اللهِ لأنَّهُ يطْردُ الشَّيطانَ. قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

ومن شرِّه: أنَّهُ يحضرُ الانسانَ، عندَ إرادتهِ فعلاً من الأفعالِ كائناً ما كان؛ ليُفسِدَ النِّيةَ والقولَ والعملَ.

عنْ جابرٍ رضي الله عنه عنْ النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الشَّيطانَ يحضُرُ أَحَدَكُم عندَ كلِّ شأنٍ منْ شأنهِ حتَّى يحضُرَهُ عندَ طعامهِ، فإذا سقطتْ منْ أحدكم اللقمةُ فليُمِطْ ما كانَ بها منْ أذىً ثمَّ لْيَأْكُلْها ولا يَدَعْها للشَّيطانِ فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ**[1] **أصابِعَهُ فإنَّهُ لا يدْري في**

---

(١) قال العَلَّامةُ الألبانيُّ رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٣٠ ـ ١٣١): وفي الحديث أدبٌ جميلٌ من آدابِ الطعام الواجبة، ألا وهو لعق الأصابعِ ومسحُ الصحفة بها. وقد أخلَّ بذلك أكثر المسلمين اليوم متأثرين في ذلك بعاداتِ أوروبا الكافرة، وآدابها القائمة على الاعتداد بالمادة، وعدم الاعترافِ بخالقها والشكر له على نعمهِ. فليحذر المسلم منْ أنْ يقلِّدهم في ذلك فيكون منهم لقوله ﷺ: «... **ومن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنْهُم**». =

أيِّ طعامِهِ تكونُ البركةُ» رواه مسلم[1].

ورواه ابن حبان[2] بلفظ: «**إذا طَعِمَ أحدُكم فَسَقَطَت لُقْمَتُهُ من يده فليُمِطْ ما رَابَهُ منها ولْيَطْعَمْهَا، ولا يَدَعْها للشيطان[3]، ولا**

= وإنَّما قلت: «... الواجبة» لأمره ﷺ بذلك، ونهيه عن الإخلالِ به. فكنْ مؤمناً يأتمر بأمرِه ﷺ، وينتهي عما نهى عنه، ولا تبالِ بالمستهزئين الذين يصدون عن سبيل الله من حيث يشعرون أو لا يشعرون».

(١) برقم (٢٠٣٣).

(٢) برقم (١٣٤٣)، وهو في «الصحيحة» برقم(١٤٠٤).

(٣) قال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣/ ٣٩٥): «ومن المؤسف حقاً أن ترى كثيراً من المسلمين اليوم... إذا سقطت اللقمة من أحدهم، فإنَّهُ يترفَّعُ عنْ أنْ يتناولَها ويميطَ الأذى عنها ويأكلها، وقد يوجد فيهم من المتعالمين والمتفلسفين من لا يجيز ذلك بزعم أنَّها تلوثت بالجراثيم والميكروبات! ضرباً منه في صدر الحديث إذ يقول ﷺ: «**فَلْيُمِطْ ما رَابَهُ منها، ولْيَطْعَمْهَا، ولا يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ**». ثمَّ إنَّهم لا يلعقونَ أصابعهم، بل الكثيرين منهم يعتبرونَ ذلكَ قلَّة ذوق وإخلالاً بآدابِ الطعام، ولذلك اتخذوا في موائدهم مناديل من الورق الخفيف النشاف المعروف بـ(كلينكس)، فلا يكادُ أحدهم يجد شيئاً من الزهومة في أصابعهِ، بل وعلى شفتيه إلَّا بادرَ إلى مسحِ ذلكَ بالمنديل، خلافاً لنص الحديث.

وأما لعق الصحفة، أي لعق ما عليها من الطعام بالأصابع، فإنَّهم يستهجنونه غايةَ الاستهجانِ، وينسبون فاعله إلى البخلِ أو الشراهة في الطعام، ولا عجب في ذلك من الذين لم يسمعوا بهذا الحديث فهم به جاهلون، وإنَّما العجب من الذين يسايرونهم ويداهنونهم، وهم به عالمون.

ثم تجدهم جميعاً قد أجمعوا على الشكوى من ارتفاع البركة من رواتبهم وأرزاقهم، مهما كان موسعاً فيها عليهم، ولا يدرون أنَّ السبب في ذلك إنَّما هو إعراضهم عن اتباعِ سنة نبيهم، وتقليدهم لأعداء دينهم، في أساليب حياتهم ومعاشهم.

يَمْسَحْ يَدَهُ بالمنديلِ، حتَّى يَلْعَقَ يَدَهُ، فإنَّ الرَّجُلَ لا يَدْرِي في أَيِّ طَعَامِهِ يُبَارَكُ له، فإنَّ الشيطانَ يَرْصُدُ النَّاسَ ـ أو الإنسانَ ـ حتى عندَ مطعمِهِ أو طعامِهِ، ولا يَرْفَعُ الصَّحْفَةَ حتى يَلْعَقَهَا أو يُلْعِقَهَا، فإنَّ في آخِرِ الطَّعَامِ البَرَكَةَ».

وقوله: «**ولا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**» يعني: أنَّهُ إذا تركهَا، ولمْ يرفعهَا فقدْ مكَّنَ الشَّيطانَ منها؛ إذْ قدْ تكبَّرَ عنْ أخذها، ونسيَ حقَّ الله تعالى فيهَا، وأطاعَ الشَّيطانَ في ذلكَ، وصارتْ تلكَ اللُّقْمةُ مناسبةً للشيطانِ؛ إذْ قدْ تُكُبِّرَ عليها، وهو متكبِّرٌ، فصارتْ طعامَهُ. وهذا كلُّهُ ذمٌّ لحالِ التَّاركِ، وتنبيهٌ على تحصيلِ غرضِ الشَّيطانِ منْ ذلكَ[1].

وفي هذا الحديثِ: التَّحذيرُ مِنَ الشَّيطانِ «والتَّنبيهُ على ملازمتهِ للإنسانِ في تصرفاتهِ. فينبغي أنْ يتأهبَ ويحترزَ منه ولا يغترُّ بما يزيِّنُهُ لهُ»[2].

ومن شرِّه: أنَّه قعدَ لابنِ آدمَ بطرقِ الخيرِ كلِّها فما منْ طريقٍ منْ طُرُقِ الخيرِ إلَّا والشَّيطانُ مُرْصَدٌ عليه يمنعُه بجَهدِهِ أن يسلُكَهُ، فإنْ خالفهُ وسلكهُ، ثبَّطهُ وعوَّقهُ وشوَّشَ عليهِ بالمعارضاتِ والقواطعِ.

= فالسنة السنة أيها المسلمون! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]».

(١) المفهم (٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

قال الله ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

والتقديرُ: لأقْعُدَنَّ لهمْ على طريقِ الحقِّ وسبيلِ النَّجاةِ الموصلِ للجنَّةِ كما يقعدُ القُطَّاعُ للسَّابلةِ.

فأيُّ سبيلٍ سلكَهَا الإنسانُ «وجدَ الشَّيطانَ عليها رصَداً لهُ، فإنْ سلكهَا في طاعةٍ وجدَهُ عليها يثبِّطُهُ عنها ويقْطعُهُ، أو يعَوِّقُهُ ويُبَطِّئُهُ، وإنْ سلكها لمعصيةٍ وجدهُ عليها حاملاً لهُ وخادِماً ومعيناً ومُمَنِّياً، ولو اتَّفقَ لهُ الهبوطُ إلى أسْفَلَ لأتاهُ منْ هناكَ»[1].

عن سَبْرَةَ بنِ أبي فاكهٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الشَّيطانَ قَعَدَ لابنِ آدمَ بأطْرُقِهِ، فقعدَ لهُ بطريقِ الإسلامِ فقالَ: تُسْلِمُ وتذَرُ دِينَكَ، ودينَ آبائِكَ، وآباءِ أبيك؟ فعصاهُ فأسْلمَ. ثمَّ قعدَ لهُ بطريقِ الهجرةِ فقالَ: تهاجرُ وتدعُ أرْضَكَ وسماءَك؟ فعصاهُ فهاجرَ. ثمَّ قعدَ لهُ بطريقِ الجهادِ فقالَ: تجاهدُ فهوَ جهْدُ النّفْسِ والمالِ، فتُقَاتِلُ فتُقْتَلُ، فتنكحُ المرأةُ ويُقْسَمُ المالُ؟ فعصاهُ فجاهدَ**»[2].

فكمْ مِنْ عازمٍ على الجِدِّ سوَّفهُ، وكمْ منْ ساعٍ إلى فضيلةٍ ثبَّطهُ. ولا يزالُ يُحَبِّبُ الكَسَلَ، ويسَوِّفُ العملَ، ويُسْنِدُ الأمرَ إلى

---

(١) موارد الأمان (ص١٧٤ ـ ١٧٥).

(٢) رواه النسائي (٣١٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢٩٣٧). =

طولِ الأمل[1].

---

(١) اعلمْ رحمكَ الله بأنَّ طولَ الأمَلِ عائقٌ عنْ كلِّ خيرٍ وطاعةٍ، جالبٌ لكلِّ شَرٍّ وفتنةٍ، داءٌ عضالٌ يوقعُ الخلقَ في أنواعِ البَلِيَّاتِ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا طَالَ أَمَلُكَ هَاجَ لَكَ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ:

أَحَدُها: تَرْكُ الطّاعَةِ وَالكَسَلُ فِيها، تَقُولُ: سَوْفَ أَفْعَلُ وَالأيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَلَا يَفُوتُنِي ذلِكَ.

الثَّاني: تَرْكُ التَّوْبَةِ وَتَسْوِيفُها، تَقُولُ: سَوْفَ أتُوبُ، وَفي الأيَّامِ السَّعَةُ وَأَنا شابٌّ، وَسِنِّي قَلِيلٌ، وَالتَّوْبَةُ بَينَ يَدَيَّ، وَأَنا قَادرٌ عَلَيها مَتَى رُمْتُها، وَرُبَّمَا اغْتَالَهُ الْحِمامُ عَلى الإصْرَارِ، وَاخْتَطَفَهُ الأَجَلُ قَبْلَ إِصْلَاحِ الْعَمَلِ.

والثَّالثُ: الْحِرصُ عَلَى الْجَمْعِ وَالاشْتِغَالِ بِالدُّنْيا عَنِ الآخِرَةِ.

وَالرَّابِعُ: الْقَسْوَةُ في الْقَلْبِ والنِّسْيَانُ لِلآخِرَةِ، لأَنَّكَ إِذَا أَمَّلْتَ الْعَيْشَ الطويلَ، لَا تَذْكُرُ المَوْتَ والْقَبْرَ، وإِنَّما رِقَّةُ الْقَلْبِ وَصَفْوَتُهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وَالقَبْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَحْوَالِ الآخِرَةِ.

قال رسولُ الله ﷺ: «**كنتُ نهيتُكم عن زيارةِ القبورِ ألا فزُورُوها فإنَّها تُرِقُّ القلبَ، وتُدمِعُ العينَ، وتذكِّرُ الآخرةَ**».

وَإِذا لَمْ يَكُنْ شَيءٌ مِنْ ذلِكَ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لِقَلْبِكَ رِقَّةٌ وَصَفْوَةٌ،قالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

فإِذَنْ أَنْتَ إِذَا طَوَّلْتَ أَمَلَكَ، قَلَّتْ طَاعَتُكَ، وَتَأَخَّرَتْ تَوْبَتُكَ، وَكَثُرَتْ مَعْصِيتُكَ، وَاشْتَدَّ حِرْصُكَ، وَقَسَا قَلْبُكَ، وَعَظُمَتْ غَفْلَتُكَ عَنِ العَاقِبَةِ، فَذَهَبَتْ ـ وَالْعِياذُ باللهِ إِن لَمْ يَرْحَمِ اللهُ ـ آخِرَتُكَ؛ فَأَيُّ حالٍ أَسْوَأُ مِنْ هذهِ؟ وَأَيُّ آفَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هذِهِ ؟ وَكُلُّ هذَا بِسَبَبِ طُولِ الأمَلِ.

واعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ المَوتِ، أعظمُ دواءٍ في إزالةِ الداء العضالِ الذي هو طول الأملِ. كفانا الله والمؤمنين شرَّهُ.

فَاحْتفِظْ بِهذِه الجُمْلَةِ، وَحَصِّلْهَا مُوَفَّقاً، فَإِنَّ الحَاجَةَ إِلْيهاَ مَاسَّةٌ، وَدَعْ عَنْكَ تَضييعَ الْوَقْتِ في القِيلِ والقَالِ، وَاللهُ المُوَفِّق بِفَضْلِهِ.

وإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يأمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ وقفَ لهُ مخوِّفاً بسوءِ العاقبةِ، ومحذِّراً باستهزاءِ النَّاسِ منهُ، أو بقولهِ لهُ: عليكَ بخاصَّةِ نفسكَ ودعْ عنكَ النَّاسَ فلنْ يستجيبوا لكَ. وما أكثر منْ أوقعهم الشَّيطانُ في هذهِ المصيدةِ!!

وإذا أراد العاصي أنْ يتوبَ جعلهُ يسوِّفُ التوبةَ، ويمنِّيهِ الإنابةَ؛ كما قالَ الشاعرُ:

لا تَعْجَلِ الذَّنْبَ لِما تَشْتَهي وتأمَلِ التَّوْبَةَ منْ قابلِ

والمسوِّفُ يبني الأمرَ على ما ليسَ إليهِ، وهوَ البقاءُ، فلعلَّهُ لا يبقى، وإنْ بقيَ فربما لمْ يقدر على التركِ غداً كما يقدرُ عليهِ اليومَ، وهلْ عَجِزَ عن الحالِ إلَّا لغلبةِ الشَّهوةِ وهيَ غيرُ مفارقةٍ لهُ غداً؟ بلْ يتأكَّدُ بالاعتيادِ، ومنْ هذا هلكَ المسوِّفونَ، وما مثالُ المسوِّفِ إلَّا مثالُ منِ احتاجَ إلى قلعِ شجرةٍ، فرآها قويةً لا تنقلعُ إلَّا بمشقَّةٍ شديدةٍ، فقال: أؤخرها سنةً ثمَّ أعودُ إليها، وهو لا يعلمُ أنَّ الشجرةَ كلَّما بقيتْ ازدادَ رسوخُها، وهو كلَّما طالَ عمرُهُ ازدادَ ضعفُهُ، فالعجبُ من عجزه مع قوَّتهِ عنْ مقاومتها في حالِ ضعفها، كيفَ ينتظرُ الغلبةَ إذا ضعفَ وقويت[1].

والمقصودُ أنَّ الشيطان بالرَّصَدِ للإنسان على طريق كلِّ

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص٢٦٧).

خيرٍ، بالتنفيرِ منها وذكرِ صعوبتها وآفاتِها. وهو أحرصُ ما يكون على الإنسانِ عندما يهُمُّ بالخيرِ، أو يدخُلُ فيهِ، فهو يشتدُّ عليه حينئذٍ ليقْطَعَهُ عنهُ.

وكلَّما كانَ الفعلُ أنفعَ للعبدِ، وأحبَّ إلى الله تعالى، كانَ اعتراضُ الشَّيطانِ لهُ أكثرَ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ شيطاناً تفلَّتَ عليَّ البارحةَ فأرادَ أنْ يقطعَ عليَّ صلاتي...**»[1].

وعنْ عثمانَ بنِ أبي العاص رضي الله عنه قالَ: قلتُ: يا رسول الله! إنَّ الشَّيطانَ قدْ حالَ بيني وبينَ صلاتي وقراءتي يُلَبِّسُها عليَّ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**ذاكَ شيطانٌ يقالُ لهُ: خِنْزَبٌ، فإذا أَحْسَسْتَهُ فتعوَّذْ باللهِ منهُ، واتْفُلْ عنْ يَسَارِكَ ثلاثاً**»[2]، ففعلتُ ذلكَ، فأذهبهُ الله عني[3].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إذا نُودِيَ بالصَّلاة، أَدْبَرَ الشيطانُ وله ضراطٌ، فإذا قضي أَقْبَلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أَدْبرَ، فإذا قُضِيَ أَقْبَلَ، حتى يخْطِرَ بين الإنْسانِ وقلبه، فيقول: اذْكُرْ كذا، وكذا، حتى لا يدْري أثلاثاً صلى أمْ أربعاً، فإذا لمْ يَدْرِ ثلاثاً**

---

(١) رواه البخاري (٤٦١، ١٢١٠ و٣٢٨٤ و٣٤٢٣ و٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال العينيُّ رحمه الله في «العلم الهيِّب» (ص٣٦١): «إنَّما أمر باليسار، لأنَّ الشيطان يأتي من قبل اليسار، لأنَّ القلب أقرب إلى اليسار، ولا يقصد الشيطان إلَّا القلب».

(٣) رواه مسلم (٢٢٠٣).

صلَّى أو أرْبَعاً، سجدَ سَجْدَتِي السَّهْوِ»[1].

والعبدُ إذا قامَ في الصَّلاة؛ غارَ الشَّيطانُ منهُ، فإنَّهُ قامَ في أعْظمِ مقام وأقربِهِ وأغيظِهِ للشَّيطانِ، وأشدِّهِ عليهِ، فهو يحْرصُ ويجتهدُ كلَّ الاجْتهادِ أنْ يحولَ بينهُ وبينَ قلبِهِ، فيذكِّرهُ في الصَّلاة ما لمْ يكنْ يذْكرُ قبْلَ دخولِهِ فيها، حتَّى ربَّما كانَ قدْ نسيَ الشَّيءَ والحاجةَ، وأَيِسَ منها، فيذكِّرهُ إيَّاها في الصَّلاةِ؛ ليشْغَلَ قلبَهُ بها، ويأخذَهُ عَنِ الله ﷻ، فيُنْقِصُ «عليهِ كمالَها وفوائدَها وثمراتِها منْ خشوعهَا وحضورهَا، وما يتنعَّمُ بهِ المصلِّي وتَقِرُّ بهِ عينُهُ، منْ ذكرِ الله فيها ومناجاتهِ بتلاوةِ كتابهِ»[2] فيقومُ فيها بلا قلْبٍ، فلا ينالُ منْ إقْبَالِ الله تعالى وكرامتهِ وقربهِ ما ينالهُ المُقْبِلُ على ربِّهِ ﷻ، الحاضرُ بقلبهِ في صلاتهِ، فينْصرفُ منْ صلاتهِ مثلَ مَا دخلَ فيها بخطاياه وذنوبهِ، وأثقالهُ لمْ تخفَّ عنهُ بالصَّلاةِ، فإنَّ الصَّلاةَ إنَّما تكفِّرُ سيئاتِ منْ أدَّى حقَّها، وأكْمَلَ خشوعَهَا، ووقفَ بين يدي الله تعالى بقلبهِ وقالبهِ[3]، كما جاء في حديث عَمْرو بنِ عَبسَةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَا مِنْكمْ رَجُلٌ يَقُرِّبُ وَضُوءَه فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨، ١٢٢٢، ١٢٣١، ٣٢٨٥)، ومسلم (٣٨٩).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٤٠) لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) صحيح الوابل الصيب (ص٤٦ ـ ٤٧).

خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ.ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

فتأمَّلْ في الحالِ وانظرْ هل تُخْرِجُ الصَّلاةُ بأذْكارها وقراءتها الشَّيطانَ منْ قلبكَ، وتفرِّغهُ كلَّهُ لله تعالى بكليِّتهِ وتقيمهُ بينَ يدي ربِّهِ مقبلاً بكليَّتهِ عليه، يصلِّي لله تعالى كأنَّهُ يراهُ، قد اجتمعَ همُّهُ كلُّهُ على الله، وصارَ ذكرهُ ومراقبتهُ ومحبتهُ والأنسُ بهِ في محلِّ الخواطرِ والوساوسِ أمْ لا؟[2].

وإنَّما يقْوى العبدُ على حضورهِ في الصَّلاةِ واشتغالِهِ فيها بربِّهِ ﷻ إذا قهرَ شهوتهُ وهواه، وإلَّا فقلبٌ قدْ قهرتْهُ الشهوةُ، وأسَرَهُ الهوى[3]، ووجدَ الشيطانُ فيهِ مقعداً تمكَّنَ فيه؛ كيفَ يَخْلُصُ مِنَ الوسَاوسِ والأفكارِ[4].

ومن شرِّه: أنَّ العبدَ إذا التفتَ في صلاتهِ اختلسَ منها.

سألتْ عائشةُ رضي الله عنها النَّبيَّ ﷺ عَنِ الالتفاتِ في الصَّلاة فقال:

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «**المحبوسُ من حُبِسَ قلبُهُ عن ربِّهِ، والمأسورُ مَنْ أسَرَهُ هواهُ**».

(٤) صحيح الوابل الصيب (ص٥٠).

«**هوَ اختلاسٌ يختلسهُ الشَّيطانُ**[1] **منْ صلاةِ العبدِ**»[2].

وسمي «**اختلاساً**» تصويراً لقبحِ تلكَ الفعلةِ بالمختلسِ، لأنَّ المصلي يقبلُ عليه الربُّ ﷻ والشيطانُ مرتصدٌ له، ينتظرُ فواتَ ذلكَ عليه، فإذا التفتَ اغتنمَ الشيطانُ الفرصةَ، فسلبهُ تلكَ الحالة[3].

فإذا كانَ هذا التفاتُ طَرفهِ أو لحظِهِ. فكيفَ التفاتُ قلبِهِ إلى ما سوى الله؟ هذا أعظمُ نصيبِ الشَّيطانِ مِنَ العبوديَّةِ.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «... **وإنَّ اللهَ أَمَرَكُم بالصَّلاة فإذا صَلَّيتُم فلا تَلْتَفِتُوا فإنَّ اللهَ ينصبُ وجهَهُ لوجهِ عبدِهِ في صلاتِهِ ما لمْ يَلْتَفِتْ...**»[4].

فكيفَ يجوزُ لمنْ صدَّقَ بأنَّ الله مقبلٌ عليهِ بوجههِ أنْ يلتفتَ...، أو يتشاغلَ بغيرِ الإقبالِ على ربِّ العالمينَ، إذْ أخبرهُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ مقبلٌ عليهِ بوجههِ، فهلْ يفعلُ ذلك مَنْ فعلهُ إلَّا قلَّة مبالاةٍ بالمقبَلِ عليهِ، أو كيفَ يجوزُ لمنْ عرفَ أنَّ اللهَ مقبلٌ عليهِ وهوَ مناجٍ لهُ أنْ يعرضَ عنهُ بما قلَّ أو كثرَ[5].

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «فتح الباري» (٦/ ٤٤٧): «يعني أنَّ الشيطانَ يسترقُ من العبدِ في صلاتهِ التفاتَهُ فيها ويختطفُهُ منه اختطافاً حتى يدخل عليه بذلك نقصٌ في صلاتهِ وخللٌ».

(٢) رواه البخاري (٧٥١ و٣٢٩١).

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٧٠).

(٤) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٢٩٨).

(٥) تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣) للإمام محمد بن نصر المروزي المتوفى سنة ٣٩٤هـ.

ومَثَلُ منْ يلتفتُ في صلاتهِ ببصرهِ أو بقلبهِ مَثَلُ رجلٍ قد استدْعاهُ السُّلطانُ، فأوقفهُ بينَ يديهِ، وأقبلَ يناديهِ ويخاطبهُ، وهو في خلالِ ذلكَ يلتفتُ عَنِ السُّلطانِ يميناً وشِمالاً، وقد انصرفَ قلبهُ عَنِ السُّلطانِ، فلا يفْهمُ ما يخاطبهُ بهِ؛ لأنَّ قلبَهُ ليسَ حاضراً معهُ، فمَا ظنُّ هذا الرجلِ أنْ يفْعَلَ به السُّلطانُ؟! أفليسَ أقلُّ المراتبِ في حقِّهِ أنْ ينْصرفَ منْ بينِ يديهِ مَمْقُوتاً مُبْعَداً قدْ سقطَ من عينيهِ؟![1].

واعلم بأنَّ «سرَّ الصلاة وروحها ولبَّها هو إقبالُ العبد فيها على الله وحضورُهُ بكُلِّيَّتِهِ بين يديه، فكما أنَّه لا ينبغي له أنْ يصرفَ وجهَهُ عن قِبْلَةِ اللهِ يميناً وشمالاً، فكذلكَ لا ينبغي له أن يصرفَ قلبَهُ عن ربِّه إلى غَيرِهِ.

فالكعبةُ التي هي بيتُ الله قِبْلَةُ وجهه وبدنه، وربُّ البيت تبارك وتعالى هو قِبْلَةُ قلبه وروحه، وعلى حَسْبِ إقبالِ العبد على الله في صلاته يكونُ إقبالُ الله عليه، وإذا أَعْرَضَ أَعْرَضَ اللهُ عنه؛ وكما تَدِينُ تُدَانُ.

وللإقبال في الصلاة ثلاثُ منازلَ:

الأولى: إقبالٌ على قَلْبِهِ فيحفظه من الشهوات والوساوس والخطرات المبطِلَةِ لثواب صلاته، أو المنقصة له.

والثانيةُ: إقبالٌ على اللهِ بمراقبته حتى كأنَّه يراه.

والثالثةُ: إقبالٌ على معاني كَلَامِهِ وتفاصيل عبودية الصلاة

---

(١) صحيح الوابل الصيب (ص٤٥).

ليعطيها حقَّها من الخشوع والطمأنينة وغير ذلك.

فباستكمال هذه المراتب الثلاث تكون إقامةُ الصلاة حقّاً، ويكونُ إقبالُ الله على عبده بحسب ذلك»[1].

ومَنْ لهُ لُبٌّ، يعلمُ قدْرَ هذهِ المسألة وشدَّةَ حاجتِهِ إليها، وانتفاعَهُ بها[2].

ومن شرِّه: أنَّ العبدَ إذا تثاءبَ[3] ولمْ يَضَعْ يَدَهُ على فيهِ دخلَ الشَّيطانُ.

---

(١) انظر: الكلام على مسألة السماع (ص ٢١٢ ـ ٢١٣) لابن قيم الجوزية.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٢٧).

(٣) قال العلامة بكر أبو زيد حفظه الله في «تصحيح الدعاء» (ص٣٥٨ ـ ٣٥٩): «لم يشرع النبي ﷺ ذكراً معيناً عند التثاؤب، فيبقى على عدم المشروعية، ويُتَّقى بما أرشد إليه النبي ﷺ من الكظم ما استطاع، فإن عجز عن الكظم فليضع المُتَثَائِبُ يدَهُ على فيه، ولم يرشد ﷺ إلى الاستعاذة في هذا الوضع ولا غيرها.

وفي هذا طرد للقاعدة الشرعية: أنَّ كلَّ أمرٍ انعقد سببه في عصر التشريع فإنَّه ينظر فيما شرعه النبي ﷺ فيعمل به دون زيادة أو نقصان، ويجتنب مالم يشرعه فإنه إمَّا أن يكون بدعةً أصليةً، أو مضافةً.

لهذا؛ فقول من تثاءب بعده: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» زيادة غير مشروعة في هذا الموضع على الفعل المشروع وهو الكظم، أو إمساك الفم باليد.

أمَّا ما يستدل به بعض الناس على مشروعية الاستعاذة هنا بقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [فصلت: ٣٦] فإنه من توظيف النَّص في غير موضعه؛ إذ معنى الآية: أنَّ عبد الله المسلم إذا همَّ بمعصية، أو بترك واجب، فإنَّ عليه أن يستعيذَ بالله من نزغات الشيطان، وأمره بالفحشاء. والله أعلم».

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا تَثَاءَبَ أَحَدُكُم فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ على فِيهِ فإنَّ الشَّيطانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ**»(١).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيطانِ، فإذا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدّه ما اسْتَطَاعَ فإنَّ أَحَدَكُم إذا قالَ: ها ضَحِكَ الشَّيطَانُ**»(٢).

أمرَ النَّبيُّ ﷺ بكظمِ التثاؤبِ وردِّهِ، ووضعِ اليدِ على الفمِ؛ لئلا يبلُغَ الشيطانُ العدوُّ أملَهُ في المُسْلِمِ بكلِ ما يسوؤُهُ ويكرَهُ منهُ، منْ تشويهِ صورتهِ، ودخولهِ في فمهِ وضحِكِهِ منهُ(٣). فإنَّ ضحكَ الشَّيطانِ منهُ سخريةٌ بهِ؛ لأنَّهُ صدرَ عنهُ التثاؤبُ الذي يكونُ عَنِ الكسلِ،وذلكَ كلُّهُ يرضيهِ، لأنَّهُ يجدُ بهِ طريقاً إلى التكسيلِ عن الخيراتِ والعباداتِ(٤).

قال النوويُّ رحمه الله: وإضافتهُ إلى الشيطانِ لأنَّهُ يدعو إلى الشهواتِ،لأنَّهُ يكونُ غالباً مع ثقلِ البدنِ وامتلائِهِ واسْتِرْخَائِهِ، وميلهِ إلى الكسلِ، والمرادُ التحذيرُ من السببِ الذي يتولَّدُ منهُ ذلك، وهو التوسُّعُ في المأكلِ وإكثارِ الأكلِ(٥).

ومن شرِّه: أنَّ العبدَ إذا نامَ، عقدَ على رأسهِ عُقَداً ليمنعَهُ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٥).
(٢) رواه البخاري (٣٢٨٩ و٦٢٢٣ و٦٢٢٦).
(٣) إكمال المعلم (٨/ ٥٤٤).
(٤) المفهم (٦/ ٦٢٥).
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ١٦٥).

من القيامِ إلى الخيراتِ؛ منْ قيامٍ وتلاوةٍ وذكرٍ واستغفارٍ. فيصبحُ خبيثَ النَّفسِ بشُؤمِ تفريطهِ، وبإتمامِ خديعةِ الشَّيطانِ عليهِ، إذْ قدْ حملهُ على أنْ فاتهُ الحظُّ الأوفرُ منْ قيامِ الليلِ. ويصبحُ مُتَثَاقِلاً عَنِ الخيراتِ فلا تكادُ تَسْخُو نفسُهُ، ولا تخفُّ عليهِ صلاةٌ، ولا غيرُهَا مِنَ القُرُبَاتِ، وربَّما يحملهُ ذلكَ على تضييعِ الواجباتِ[1].

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ على مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتَ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً[2] طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»[3].

---

(١) انظر «المفهم» (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) قال العلامة الطيبيُّ في «شرح المشكاة» (٤/ ١٢٠١): قوله: «فأصبح نشيطاً طيب النفس» مثِّلت حالة من لم يتكاسل، ولم ينم عن وظائفه التي تسرع به إلى مقام الزلفى، وتنشِّطه لاكتساب السعادة العظمى ـ فكلما هَمَّت النفس اللوامة بالسلوك، تداركها التوفيق بالخلاص من نفث الشيطان في عقد النفس الأمارة بالسوء، فتصبح مطمئنة، نشيطة القلب، طيبة النفس، ظاهراً في سيمائها أثر السجود ـ بحالة من أسره العدو، وشدَّ على قفاه بربقة الأسر عقدة بعد عقدة استيثاقاً، وهو يتحرَّى الخلاص منه بلطائف حيله مرة بعد أخرى، حتى يتخلص منه بالكلية، ويذهب لسبيله بلا مانع ولا منازع، بخلاف من أطاع الشيطان حتى يتمكن من النفس الأمارة يضرب العقد على قافية رأسه، فهل يستويان؟ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢].

(٣) رواه البخاري (١١٤٢ و٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦).

ومقصودُ الشَّيطانِ بذلكَ التَّلْبِيسُ على النَّائمِ وتَثْبِيطُهُ عَنِ القيامِ للعبادةِ[1]. فَيُلَذِّذُ إليهِ النَّومَ، ويُوَسْوِسُ إليهِ أنَّ الليلَ طويلٌ.

وهذهِ العُقَدُ حقيقيَّةٌ كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ بالَّليْلِ بِحَبْلٍ فِيهِ ثَلَاثُ عُقَدٍ**»[2]

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَكَرٍ ولا أُنْثَى إلا عَلَى رَأْسِهِ جَرِيرٌ[3] مَعْقُودٌ حِينَ يَرْقُدُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا قَامَ فَتَوَضَّأَ وصَلَّى انْحَلَّتِ العُقَدُ**»[4].

وظاهرُ الحديثِ أنَّ منْ لمْ يجمعِ الأمورَ الثلاثةَ: وهي الذِّكرُ والوضوءُ والصَّلاةُ فهوَ داخلٌ فيمنْ يصبحُ خبيثَ النَّفسِ كسلانَ[5]. قد بال الشيطان في أذنيه.

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: ذُكِرَ عندَ النَّبيِّ ﷺ رجلٌ نامَ ليلةً حتىَّ أصبحَ قالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ**»[6] أو

---

(١) المنهل العذب المورود (٧/ ٢٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٩٤).

(٣) الجريرُ: الحبلُ الذي يخطم به البعير.

(٤) رواه ابن حبان (٢٥٥٤)، وصححه المحدّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٤٢).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٦٧).

(٦) قال العينيُّ رحمه الله في «عمدة القاري» (٦/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧): «فإنْ قلت: لمَ خصَّ الأذن بالذكر والعين أنسب بالنوم ؟ قلت: قال الطيبي: إشارة إلى ثقل النوم، فإنَّ المسامع هي موارد الانتباه، وخصَّ البول من الأخبثين =

قالَ: «**أُذُنِهِ**»[1].

عَـقَـدَ الـشَّـيـطـانُ عَـقْـدَا ثُـــمَّ فـــي الآذانِ بَـــالَا
ثـــمَّ قـــالَ: ارْقُـــدْ وشُـــدَّا فَـعَـلَـيـكَ الـلَّـيْـلُ طَـالَا[2]

ومن شرِّه: أنَّه يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدمِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»[3].

وقدْ جعلَ اللهُ للشَّيطانِ دخولاً في جوفِ العبدِ، ونفوذاً إلى قلبِهِ وصدرِهِ، فهو يجري منهُ مجرى الدمِ، وقدْ وُكِّل بالعبدِ فلا يفارقهُ إلى المماتِ.

وجَرْيُ الشَّيطانِ من الإنسانِ مجرى الدمِ على ظاهرِهِ، لا يفارقُ الإنسانَ، كما لا يفارقُهُ دمُهُ، فاشتركا في شدَّةِ الاتصالِ وعدمِ المفارقةِ.

والمعنى: «أنَّ الشَّيْطَانَ يَتَمَكَّنُ في إِغْواءِ الإِنْسَانِ وإِضْلَالِهِ تَمَكُّناً تَامّاً، ويَتَصَرَّفُ فيهِ تَصَرُّفاً لا مَزِيدَ فِيهِ»[4].

وهذا يدفعنا، للتَّحفُّظِ منْ مكايدِهِ، والاحترازِ منْ وساوسِهِ وشرِّهِ.

= لأنَّهُ أسهلُ مدخلاً في التجاويف، وأوسع نفوذاً في العروقِ فيورث الكسلَ في جميع الأعضاء».

(١) رواه البخاري (١١٤٤ و٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤).

(٢) منظومة قيام الليل (ص٢٠)، للعلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي.

(٣) رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٥٢١)، طبعة مكتبة الباز.

ومن شرِّه: أَنَّهُ تَصَدَّى للنَّبيِّ ﷺ وتفلَّتَ عليهِ بشهابٍ منْ نارٍ يريدُ أنْ يحرقَ بهِ النَّبيَّ ﷺ.

عنْ أبي التياح قال: سأل رجلٌ عبد الرحمن بن خنبش: كيف صنعَ رسولُ الله ﷺ حينَ كادَتْهُ الشياطينُ؟ قال: جاءت الشياطينُ إلى رسول الله ﷺ من الأوديةِ، وتحدَّرَتْ عليهِ من الجبالِ، وفيهمْ شيطانٌ معهُ شعلةٌ منْ نارٍ يريدُ أنْ يُحْرِقَ بها رسولَ الله ﷺ، قالَ: فرعبَ، وجاء جبريلُ عليه السلام فقال: يا محمد! قلْ. قال: «**ما أَقُولُ؟**» قال: قل: «**أعوذُ بكلماتِ الله التَّاماتِ التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ، منْ شَرِّ ما خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرأَ، ومنْ شرِّ ما يَنْزِلُ من السَّمَاءِ، ومنْ شَرِّ ما يعْرُجُ فيها، ومنْ شَرِّ ما ذَرَأَ في الأرضِ، ومنْ شرِّ ما يَخْرُجُ منها، ومِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيرٍ يَا رَحْمَانُ!**»[1].

فإذا كانتِ الشَّياطينُ تأتي الأنبياءَ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ لتؤذيهم، فيدفعهم اللهُ تعالى بما يؤيدُ بهِ الأنبياءَ مِنَ الدُّعاءِ والذِّكرِ والعبادةِ ومِنَ الجهادِ باليدِ؛ فكيفَ منْ هوَ دونَ الأنبياءِ؟!.

فالنبيُّ ﷺ قَمَعَ شياطينَ الإنسِ والجنِّ بما أَيَّدَهُ اللهُ تعالى منْ أنواعِ العلومِ والأعمالِ ومنْ أَعْظَمِهَا الصَّلاةُ والجهادُ ـ وأكثرُ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) (١٥٥٠١ و١٥٥٠٢) وأبو يعلى (٦٨٤٤) وحسنه المحدِّث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٩٩٥).

أحاديثِ النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ والجهادِ ـ فمنْ كانَ مُتَّبِعاً للأنبياءِ نَصَرَهُ اللهُ سبحانهُ بما نَصَرَ بهِ الأنبياءَ.

وأمَّا مَنِ ابتدعَ ديناً لم يشرعوه، فتركَ ما أمروا بهِ منْ عبادةِ اللهِ وحدَهُ لاشريكَ لهُ، واتِّباعِ نبيِّه فيما شرعهُ لأمَّتهِ، وابتدعَ الغلوَّ في الأنبياءِ والصالحينَ والشِّركَ بهم فإنَّ هذا تتلعَّبُ بهِ الشَّياطين[1].

ومن شرِّه: ما قالهُ الله ﷻ عنهُ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١٢٠][2].

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: البتْكُ: القطْعُ، وهو في هذا الموضعِ: قطْعُ آذانِ البَحيرَةِ...[3].

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ قال ابنُ عباس: «يريد دينَ الله...»

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٧١).

(٢) قال العلامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على هذه الآية في «آداب الزفاف» (ص٢٠٨): «فهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ تغييرَ خلق الله دون إذنٍ منه تعالى، إطاعةٌ لأمر الشيطان، وعصيانٌ للرحمن جلَّ جلاله، فلا جرمَ أنْ لعنَ رسولِ الله ﷺ المغيراتِ خلقَ الله للحُسن...، ولا شكَّ في دخولِ حلقِ اللحية للحُسن (!) في اللعنِ المذكورِ بجامعِ الاشتراكِ في العلَّة كما لا يخفى، وإنَّما قلتُ: «دون إذنٍ من الله تعالى»، لكي لا يُتَوهم أنَّه يدخُل في التغييرِ المذكورِ مثلُ حلقِ العانةِ ونحوها ممَّا أذنَ فيه الشَّارعُ، بل استحبه، أو أوجبه».

(٣) هي الناقة، كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن شقُّوا أُذُنَهَا.

ومعنى ذلك: هو أنَّ اللهَ تعالى فَطَرَ عبادَهُ على الفطرةِ المستقيمةِ، وهي ملَّةُ الإسلام، كما قال ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

ولهذا قال ﷺ: «**ما مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطَرةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، فَهَلْ تُحِسُّونَ فيها مِنْ جَدْعَاءَ، حَتّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟**» ثم قَرأ أبو هريرةَ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ الآية[1].

فجمعَ ﷺ بينَ الأمرينِ: تغييرِ الفطرةِ بالتَّهويدِ والتَّنْصيرِ، وتغْييرِ الخِلْقَةِ بالجَدْعِ. وهما الأمرانِ اللَّذانِ أخبرَ إبْليسُ أنَّهُ لا بُدَّ أنْ يغيِّرَهُما. فغيَّرَ فطرةَ اللهِ بالكفرِ، وهو تغييرُ الخِلْقَةِ التي خُلِقوا عليهَا، وغيَّرَ الصُّورةَ بالجَدْعِ والبَتْكِ، فغَيَّرَ الفطرةَ إلى الشِّرْكِ، والخِلْقَةَ إلى البَتْكِ والقَطْعِ، فهذا تغييرُ خِلْقَةِ الرُّوحِ، وهذا تغييرُ خِلْقَةِ الصُّورةِ[2].

وقال النَّبيُّ ﷺ فيما يروي عن ربِّهِ ﷻ: «... **إنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وأَمَرَتْهُمْ أنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنزِّلْ به سُلْطَاناً**»[3].

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) موارد الأمان (ص ١٧٥ ـ ١٧٧).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٨٦٥).

وهذا الحديثُ العظيمُ القَدْرِ الجليلُ الشَّأنِ «يتضمنُ أصلَيْنِ عظيمَيْنِ مقصودَيْنِ لأنفُسِهِمَا:

أحدُهُما: عبادَتُهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ.

والثاني: أنَّه إنَّما يُعْبَدُ بما شَرَعَهُ وأَحَبَّهُ وأَمَرَ بهِ.

وهذانِ الأصلانِ هما المقْصودُ الذي خُلِقَ لهُ الخلقُ، وضِدُّهما الشِّرْكُ والبِدَعُ، فالمشركُ يَعبدُ مَعَ الله غيرَهُ، وصاحبُ البِدْعةِ يتقرَّبُ إلى الله بما لمْ يَأْمُرْ بهِ ولم يُشَرِّعْه ولا أحبَّه[1].

والبدعةُ ـ وهي إمَّا باعتقادِ خلاف الحقِّ. وإمَّا بالتَّعَبُّدِ بما لم يَأْذَنْ به اللهُ ـ **أحبُّ إلى إبْليسَ مِنَ المعصيةِ، لأنَّ المعصيةَ يُتابُ منها والبدعةَ لا يُتابُ منها.**

وإنَّما كانت البدعةُ أحبَّ إلى إبليسَ مِنَ المعصيةِ لأنَّ «المبتدعَ الذي يتَّخذُ ديناً لمْ يُشَرِّعْهُ اللهُ ولا رسولُهُ قد زُيِّنَ له سوءُ عملِهِ فرآهُ حسناً فهوَ لا يتوبُ ما دامَ يراهُ حسناً، لأنَّ أوَّلَ التوبةِ العلمُ بأنَّ فعلَهُ سيئٌ ليتوبَ منهُ، أو بأنَّهُ تركَ حسناً مأموراً بهِ أمرَ إيجابٍ أو استحبابٍ ليتوبَ ويفعله. فما دام يرى فعلَهُ حسناً وهو سيئٌ في نفسِ الأمرِ فإنَّهُ لا يتوبُ»[2].

ومن شرِّه: أنّه يجعلُ العبدَ يتهاونُ في صغائرِ الذنوبِ. أوَ

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٨٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩).

تدري مَا مُحَقَّرات الذنوبِ؟! إنَّها الذنوبُ التي يستصغرُها العبدُ ولا يبالي فيقعُ فيهَا بغيرِ حسابٍ، ولا يزالُ الشَّيطانُ يهوِّنُ عليهِ أمرَها حتى يُصِرَّ عليها.

و«الإصرارُ على المعصيةِ ـ وهو الاستقرارُ على المخالفةِ، والعزمُ على المعاودة ـ معصيةٌ أخرى[1]، والقعودُ عنْ تداركِ الفارطِ من المعصيةِ إصرارٌ ورضاً بها، وطمأنينةٌ إليها، وذلكَ علامةُ الهلاكِ»[2].

عن عبد الله بنِ عَمْرو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُم، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ القَوْلِ[3]، وَيْلٌ**

---

(١) قال ابن القيِّم رحمه الله في «تهذيب المدارج» (ص٢٤٧): «إنَّ المبادرَة إلى التوبةِ من الذنب فرضٌ على الفورِ، ولا يجوزُ تأخيرُها، فمتى أخَّرَها عصى بالتأخيرِ، فإذا تابَ من الذَنب بقيَ عليهِ توبةٌ أخرى، وهي توبتُهُ من تأخير التَّوبةِ، وقَلَّ أن تخطُرَ هذه ببالِ التَّائِبِ، بل عندَهُ أنه إذا تاب من الذنب لم يبقَ عليه شيءٌ آخرُ، وقد بقي عليه التوبَةُ من تأخيرِ التوبةِ، ولا ينجِّي مِن هذا إلا توبةٌ عامَّةٌ، مما يَعلمُ من ذنوبِهِ ومما لا يَعْلَم، فإنَّ ما لا يعلمُهُ العبدُ من ذنوبِهِ أكثرُ مما يعلمُهُ، ولا ينفعُهُ في عدم المؤاخذةِ بها جَهْلُه إذا كان مُتَمَكِّناً من العلم، فإنه عاصٍ بترك العلم والعمل، فالمعصيةُ في حقِّهِ أشدُّ».

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص١٨٨).

(٣) قال في «النهاية» (٤/ ١٠٩): «الأقماعُ: جمع قِمَع كضِلَع، وهو الإناءُ الذي يُتْركُ في رؤوس الظُّروفِ لِتُمْلَأَ بالمائعاتِ من الأشربة والأدهانِ. شبَّهَ أسماعَ الذين يستمعون القولَ ولا يَعُونهُ ويحفظونه ويعملون بهِ بالأقماعِ التي لا تعي شيئاً مما يُفْرَغُ فيها، فكأنَّهُ يمر عليها مجازاً كما يمر الشَّرابُ في الأقماعِ اجتيازاً».

لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ على ما فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ»[1].

والإصرارُ[2] على الصغيرةِ قدْ يساوي إثْمُهُ إِثْمَ الكبيرةِ، أو يُرْبِي عليها.

وأيضاً؛ فإنَّهُ قدْ يُتخلَّصُ مِنَ الكبيرةِ بالتَّوبةِ والاستغفارِ، وأمَّا الإصرارُ على الذنبِ إذا تمكَّنَ مِنَ القلبِ فإنَّهُ يَعِزُّ عليهِ التخلُّصُ منهُ، كمَا قالَ القائلُ:

تاللهِ ما أَسَرَتْ لَوَاحِظُكَ امْرَءاً إِلَّا وعَزَّ على الوَرَى اسْتِنْقَاذُهُ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيطَانَ قَدْ أَيِسَ أن يُعْبَدَ بِأَرْضِكُم هَذِهِ، ولَكِنْ قَدْ رَضِيَ مِنْكُم بِمَا تُحَقِّرُونَ**»[3].

وفي هذا الحديث «دليلٌ على عِظَمِ الخَطْبِ فيما يُسْتَحْقَرُ»[4].

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا عائشةُ!**

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٩٣).

(٢) اعلم رحمك الله بأن من صفات المتقين عدمَ الإصرار على الذنوب قال سبحانه: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. فإيَّاكمْ والإصْرارَ، فإنَّما هلك المُصِرُّونَ المَاضُونَ قُدُماً، لا يتوبون من ذنبٍ أصابوه، حتى أتاهُمُ المَوتُ وهم على ذلك.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٦٨) (٨٧٩٦) بسند صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الاعتصام (٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩)، تحقيق: الشيخ سليم الهلالي.

إيَّاكِ ومُحَقَّراتِ الأَعْمَالِ، فإنَّ لها مِنَ اللهِ طَالِباً»[1].

وعنْ سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كقومٍ نَزَلُوا في بَطْنِ وادٍ، فَجَاءَ ذا بِعُودٍ، وجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُم، وإنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُها تُهْلِكُهُ**»[2].

ومعنَى الحديثِ: أنَّ كلَّ واحدٍ منهم جاءَ بعودِ حطبٍ حتَّى أوقدوا ناراً عظيمةً فطبَخُوا واشْتَوَوا، وكَذلِكَ فإنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى العَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأنها حَتَّى تُهْلِكَهُ.

والتَّهاونُ في صغائرِ الذنوبِ بمنزلةِ الشَّرارةِ مِنَ النَّارِ تُرمى في الحشيشِ اليابسِ، فإنْ لمْ تُحرقْهُ كلَّهُ أَحْرَقَتْ بعضَهُ، كمَا قيل:

ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

فتكونُ نظرة[3]، ثمَّ خطرة، ثمَّ خطوة، ثمَّ خطيئة.

قال القائلُ:

لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ أَقَلَّهَا إنَّ القَلِيلَ مِنَ الدَّوَامِ كَثِيرُ

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١) (٢٢٩١٦) بسند صحيح على شرط الشيخين.

(٣) قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «**الإثْمُ حَوَّازُ القلوبِ، وما من نظرةٍ إلَّا وللشيطانِ فيها مَطْمَعٌ**» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٣٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٦١٣).

وقال ابنُ المُعْتَزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
واصْنَعْ كَمَاشٍ فَوقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يَرَى
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إنَّ الجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال القَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا وَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الخِلْجَانِ[1]

وقال الشاعرُ:

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَ الذَّنْبِ تُدْمِنُهُ فالخَطُّ مُجْتَمِعُ التَّأْلِيفِ مِنْ نُقَطِهِ[2]

وقال غيرُه:

«ومِنَ القَرَارِيطِ يَأتِي كُلُّ قِنْطَارِ»[3]

وقال القائل:

لا تحقرنَّ من الذنوب صغيراً إنَّ الصغيرَ غداً يعودُ كبيرا
إنَّ الصغيرَ ولو تقادم عهدهُ عند الإله مسطَّرٌ تسطيرا

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا تَحْقِرَنَّ يسيرَ المعصيةِ كالعُشبِ الضعيفِ يُفْتَلُ منهُ حبالٌ تَجُرُّ السُّفُنَ**»[4].

وتَتداعى السَّيِّئاتُ في حقِّ مثلِ هذا، وتتألَّفُ، فيتولَّدُ منَ

---

(١) نونية القحطاني (ص٣٩).
(٢) العطر الوردي شرح لامية ابن الوردي (ص٢٥).
(٣) العطر الوردي (ص٢٥).
(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٣٣٨).

الذَّنبِ الواحدِ ما شاءَ اللهُ مِنَ المتَالفِ والمعَاطبِ التي يَهوي بها في دَرَكاتِ العَذابِ، فالمصيبةُ كلُّ المُصيبَةِ الذَّنبُ يتولَّدُ مِنَ الذَّنبِ، ثمَّ يتولَّدُ مِنَ الاثنينِ ثالثٌ، ثمَّ تَقوى الثَّلاثَةُ فتُوجبُ رابعاً، وهلُمَّ جَرّا، حتَّى يستحكمَ الهلاك.

ومَن لم يَكُنْ لهُ فقهُ نَفسٍ في هذا البابِ هلكَ من حيثُ لا يَشعُرُ؛ فالحسناتُ والسَّيِّئاتُ آخذٌ بَعضُها برقابِ بعضٍ، يتلو بعضُها بعضاً، ويثمرُ بعضُها بعضاً.

فالأمرُ جِدُّ خطيرٍ ويستحقُ الوقوفَ عنده كثيراً والتفكرَ فيه طويلاً.

فتأمَّل هذا الفصلَ وتدبَّرْ موقِعَهُ وعظيمَ منفعتهِ، واجْعَلْهُ ميزانَكَ تَزِنُ بهِ النَّاسَ وَتزِنُ بهِ الأعمالَ، فإنَّهُ يُطلِعُكَ على حقائقِ الوجودِ ومراتبِ الخلقِ.. واللهُ المستعان، وعليه التُّكْلَانُ.

ولو لم يكنْ في هذا التعليق إلا هذا الفصلُ لكانَ نافعاً لمن تدبَّرَهُ ووعاه[1].

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٨٥) [طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى].

الحِصْنُ الحَصِينُ
مِنَ
الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

لقدْ علمنا خطرَ الشَّيطانِ، وهمَّته في الشَّرِّ فكيفَ الخلاصُ منهُ؛ إلا بمعونةِ الله وتأييده وتوفيقه؟ ما هي التَّحصيناتُ التي ينبغي أنْ نتحصَّنَ بها في حربنا مع هذا العدوِّ؟ فمنْ غيرِ معرفةٍ للتَّحصيناتِ يصعبُ علينا مزاولةُ هذه الحربِ التي رفعَ لِواءَها إبليسُ.

ومنْ أهمِّ هذهِ التَّحصيناتِ ما يلي:

الحِصْنُ الأَوَّلُ: الإِخْلَاصُ

لمَّا علمَ إبْليسُ أنَّهُ لا سبيلَ لهُ على أهلِ الإخلاصِ، استثناهم منْ شِرْطتِهِ التي اشترطها للغِوايَةِ والإهلاكِ، فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

وقال ﷻ في حقِّ الصِّدِّيق يوسفَ ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤][1].

(١) قال شيخ الاسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣): «إنَّ =

فجازاهُ على إخْلاصهِ بصرْفِ السُّوءِ والفحشاءِ عنه[1].

فالإخلاصُ هو سبيلُ الخلاصِ مِنَ الشَّيطانِ. وأهلُ الإخلاصِ أعمالُهُم كُلُّها لله، وأقوالُهم لله، وعطاؤُهم لله، ومنعُهُم لله، وحُبُّهم لله، وبُغْضُهم لله.

عنْ أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ[2]، وأَبْغَضَ لِلَّهِ، وأَعْطَى لِلَّهِ، ومَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»**[3].

= إخلاصَ الدِّين لله يمنع من تسلُّط الشيطان، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فإذا أخْلصَ العبدُ لربِّه الدِّينَ: كان هذا مانعاً له من فعل ضدِّ ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضدِّ ذلك. وإذا لم يفعل ما خلق له، وفطر عليه: عوقب على ذلك، وكان من عقابه: تسلط الشيطان عليه، حتى يزيّنَ له فعلَ السيئات. وكان إلهامُه لفجوره عقوبةً له على كونه لم يتَّقِ اللهَ».

(١) شفاء العليل (٢/ ٤٦٦).

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٥٤): «فإنَّهُ إذا كانَ حبُّهُ لله، وبغضُهُ لله، وهما عملُ قلبهِ، وعطاؤُهُ لله، ومنعُهُ لله، وهما عملُ بدنهِ، دلَّ على كمالِ محبتهِ لله، ودلَّ ذلك على كمالِ الإيمانِ؛ وذلك أنَّ كمالَ الإيمانِ أنْ يكونَ الدينُ كلُّه لله، وذلك عبادةُ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ له، والعبادةُ تتضمنُ كمالَ الحبِّ، وكمالَ الذُّلِّ، والحبُّ مبدأُ جميع الحركات الإرادية، ولا بدَّ لكلِّ حيٍّ من حبٍّ وبغضٍ، فإذا كانت محبته لمن يحبه الله، وبغضه لمن يبغضه الله، دلَّ ذلك على صحة الإيمانِ في قلبه، لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف، بما يعارضهُ من شهواتِ النفسِ وأهوائها، فإذا كان حبه لله، وعطاؤه لله، ومنعه لله، دلَّ ذلك على كمالِ الإيمان باطناً وظاهراً».

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩١٥).

والدينُ كلُّهُ يدورُ على أربع قواعد: حبٌّ وبغضٌ، ويترتَّبُ عليهما فعلٌ وتركٌ، فمنْ كانَ حبُّهُ وبغضُهُ وفعلُهُ وتركُهُ لله، فقد استكملَ الإيمانَ، بحيثُ إذا أحبَّ أحبَّ لله، وإذا أبغضَ أبغضَ لله، وإذا فعلَ فعلَ لله، وإذا تركَ تركَ لله، وما نقصَ من أصنافِ هذهِ الأربعةِ نقصَ منْ إيمانهِ ودينهِ بحسبهِ[1].

قال العَلّامة السَّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَزَفُوا القلوبَ عَنِ الشَّواغلِ كلِّها قدْ فرَّغوها مِنْ سوى الرحمنِ
حركاتُهمْ وهُمومُهم وعُزومُهم للهِ لا للخَلْقِ والشَّيْطَانِ[2]

فأهل الاخلاص معاملتهم ظاهراً وباطناً لوجهِ الله وحدَهُ، لا يُريدونَ بذلكَ مِنَ النَّاسِ جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاءَ الجاهِ عندهمْ، ولا طلبَ المحمَدَةِ، والمنزلةِ في قلوبهم، ولا هرباً من ذمِّهم، بل قد عَدُّوا النَّاسَ بمنزلةِ أصحابِ القبورِ، لا يملكونَ لهم ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وكذلك أعمالُهم كُلُّها وعبادتُهم موافقةٌ لأمرِ الله، ولما يُحبُّهُ ويرضاه. وهذا هو العملُ الذي لا يقبلُ اللهُ مِنْ عاملٍ سواهُ، وهوَ الذي بَلَاْ عبادَهُ بالموتِ والحياةِ لأجلهِ، وجعلَ ما على الأرضِ زِينةً لها ليختبِرَهُمْ أيُّهُمْ أحسنُ عملاً.

---

(١) الروح (ص٣٤٢).
(٢) الدُّرة الفاخرة (ص٢٩).

قـــــــال اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيلُ بنُ عِياض: العملُ الحسنُ هو أخلَصُهُ وأصوبُه، قالوا: يا أبا عليٍّ ما أخلصُهُ وأصوبُهُ؟ قال: إنَّ العملَ إذا كانَ خالصاً ولم يكنْ صواباً لم يقبلْ، وإذا كان صواباً، ولم يكنْ خالصاً لم يقبلْ، حتَّى يكونَ خالصاً وصواباً، **والخالصُ** ما كانَ لله، **والصَّوابُ**: ما كان على السُّنة. فإنَّ هذَيْنِ الأصلَيْنِ هما دينُ الإسلام الذي ارتضاهُ اللهُ تعالى كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ [النساء: ١٢٥]. فالذي أسلمَ وجهَهُ لله هوَ الذي يخلصُ نيتَهُ لله ويبتغي بعملهِ وجهَ الله. والمحسنُ هو الذي يحسنُ عملَهُ فيعملُ الحسناتِ، والحسناتُ هي العملُ الصَّالحُ، والعملُ الصَّالحُ هوَ مَا أمرَ اللهُ بهِ ورسولُهُ منْ واجبٍ ومستحب؛ فما ليسَ منْ هذا ولا هذا ليسَ مِنَ الحسناتِ والعملِ الصَّالح، فلا يكونُ فاعلُهُ محسناً[1].

قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

أي: كما أنَّهُ إلهٌ واحدٌ، لا إلهَ سواهُ، فكذلك ينبغي أنْ تكونَ العبادةُ له وحده، فكما تَفَرَّدَ بالإلهيةِ يجبُ أنْ يُفْرَدَ بالعبوديَّةِ.

فالعملُ الصَّالحُ هو الخالي مِنَ الرياءِ المُقَيَّدُ بالسُّنَّةِ.

---

(١) النبوات (ص٨٧) لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

وكانَ مِنْ دعاءِ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: «**اللهمَّ اجْعَلْ عملي كلَّهُ صالحاً، واجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خالصاً، ولا تَجْعَلْ لأحدٍ فيهِ شيئاً**»(١).

فمنْ لمْ يُخْلِصْ لله في عبادتهِ لمْ يَفْعَلْ ما أُمِرَ بهِ، بلْ الذي أتى بهِ شيءٌ غيرُ الذي أُمِرَ به؛ فلا يصحُّ، ولا يقبلُ منهُ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قال اللهُ تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرْكِ، منْ عَمِلَ عملاً أشْرَكَ فيه معي غيري؛ تركتُهُ وشِرْكَهُ**»(٢).

فلا يقبلُ اللهُ مِنَ العملِ إلَّا ما كانَ خالصاً لوجههِ، على متابعةِ أمره.

وما عدا ذلكَ فهوَ مردودٌ على عاملهِ، يُرَدُّ عليه ـ أحوجَ ما هو إليه ـ هباءً منثوراً. وكلُّ عملٍ بلا اقتداءٍ، فإنَّهُ لا يزيدُ عاملَهُ مِنَ الله إلا بُعْداً، فإنَّ اللهَ تعالى إنَّما يُعبَدُ بأمرهِ، لا بالآراءِ والأهواءِ(٣).

عنْ أبي أمامةَ الباهلي رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ ما لهُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا شَيْءَ لهُ**» فأعادهَا ثلاثَ مرَّاتٍ، يقول لهُ

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (ص١١٨).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) تهذيب مدارج السالكين (ص ٩٧ ـ ٩٩).

رسولُ الله ﷺ: «**لا شَيْءَ له**»، ثمَّ قال: «**إنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ من العملِ، إلَّا ما كانَ له خالصاً وابْتُغيَ بهِ وجْهُهُ**»(١).

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا، ما ليسَ منهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

قال شيخُ الاسلام رحمه الله: «العباداتُ مبناها على الشَّرع والاتِّباع، لا على الهوى والابْتِدَاعِ، فإنَّ الإسلامَ مبنيٌّ على أصلَيْنِ:

أحدُهُما: أن نَعْبُدَ اللهَ وحَدُه لا شريكَ له.

والثاني: أن نَعْبُدَهُ بما شَرَعَهُ على لسان رسوله»(٣).

وقال ابنُ القَيِّم رحمه الله:

حقُّ الإلـهِ عبادةٌ بالأمْرِ لا ... بهوى النُّفوس فذاكَ للشيطانِ

مِنْ غيرِ إشْراكٍ به شيئاً هما ... سبَبَا النَّجاةِ فحبَّذا السَّبَبَانِ(٤)

واعلم بأنَّ «أصعبَ شيءٍ على النَّفسِ المطمئنةِ تخليصُ الأعمالِ ـ مِنَ الشَّيطانِ ـ لله، فلو وصلَ منهَا عملٌ واحدٌ كما ينبغي لنجَا بهِ العبدُ، ولكنْ أبى الشيطانُ أنْ يدعَ لها عملاً واحداً

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٨٠).

(٤) شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٠٣).

يصلُ إلى الله، كمَا قالَ بعضُ العارفينَ بالله وبنفسه: «**والله لو أعلمُ أنَّ لي عملاً واحداً وصلَ إلى الله لكنْتُ أفرحَ بالموتِ من الغائبِ يقدمُ على أَهْلِهِ**»، وقال ابنُ عمر: **لو أعلمُ أنَّ اللهَ تقبَّلَ**[1] **مني سجدةً واحدةً لَمْ يكنْ غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموتِ** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][2].

وتخليصُ الأعمالِ ـ مِنَ الشَّيطانِ ـ لله لا يُوَفَّقُ إليهِ «إلَّا مَنْ أَمَدَّهُ اللهُ بأمدادِ التَّوفيق، وأَيَّدَهُ برحمتهِ، وتولَّى حفظَهُ وحمايتَهُ، وفتحَ بصيرةَ قلبهِ»[3].

فَلْيَزِنِ العاقلُ نفسَهُ بهذا الميزانِ قبلَ أنْ يوزنَ يومَ القدوم على الله.. والله المستعانُ، وعليهِ التُكْلانُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله تعالى[4].

---

(١) اعلم رحمك الله بأنَّ الله تعالى إذا منَّ عليكَ بطاعةٍ، فلا يكونُ لكَ شَغْلٌ بَعْدَ حصولِ هذه الطاعةِ إلَّا التضرُّعَ والابتهالَ إلى الله ﷻ بأنْ يتقبَّلها. أما تسمع قولَ خليلهِ إبراهيمَ ﷺ، لمَّا فرغَ من خدمتهِ في بناء بيتهِ، كيفَ ابتهل إليه في أنْ يتفضَّلَ عليه بالقبولِ، فقال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ولمَّا فرغَ من دعائه قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] فلئنْ منَّ عليكَ بقبولِ هذهِ البضاعةِ المزجاةِ، فلقدْ أكْمَلَ المنَّةَ وأعْظمَ النِّعْمَةَ. فأيُّ هديَّةٍ أجلُّ منْ هديةٍ يقْبَلُها ربُّ العالمينَ، وأيُّ سعْيٍ أكْرمُ منْ سعيٍ يشكره ويثني عليه ربُّ العالمين، وأيُّ بضاعةٍ أعزُّ من بضاعةٍ اختارها ورضيها ربُّ العالمين؟.

(٢) الروح (ص٣٠٦) بتصرف يسير.

(٣) الروح (ص٣٢١).

(٤) بدائع الفوائد (٤/ ٢١٢).

الحِصْنُ الثَّانِي: قِرَاءَةُ القُرْآنِ

إنّ قراءةَ القرآنِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النَّهارِ مطردةٌ للشيطانِ.

عن أبي قتادةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ خَرج ليلةً فإذا هُو بأبي بكر رضي الله عنه يصلِّي، يَخْفِضُ صوتَهُ، ومرَّ بعمر بن الخطاب، وهو يصلِّي رافعاً صوتَهُ، فلمَّا اجتمعا عندَ النبيِّ ﷺ، قالَ النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وأَنْتَ تُصَلِّي، تَخْفِضُ صَوْتَكَ**» قال: أَسْمَعْتُ مَنْ ناجيتُ يا رسولَ الله. وقال لِعُمَرَ: «**مَرَرْتُ بِكَ وأنتَ تصلِّي رافعاً صوتَكَ**» فقال: يا رسولَ الله! أُوقِظُ الوَسْنَانَ وأَطْرُدُ الشَّيطانَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شيئاً**» وقال لِعُمَرَ: «**اخْفِضْ مِنْ صَوتِكَ شَيْئاً**»(١).

الحِصْنُ الثَّالثُ: سُورَةُ البَقَرَةِ

١ ـ عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**»(٢).

قال الشوكانيُّ رحمه الله: ظاهُرهُ أنَّهُ يفرُّ إذا سمعها مرةً، ولا يعودُ بعدَ ذلكَ، لأنَّ قراءَتها مرَّةً في البيتِ قدْ صدقَ على هذهِ

---

(١) رواه أبو داود (١٣٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١١٨٠).

(٢) رواه مسلم (٧٨٠).

القراءةِ بهذهِ السورةِ في البيتِ أنَّها قرِئتْ فيه. . .

وفي أوَّلِ الحديثِ دليلٌ على أنَّهُ ما ينبغي للإنسانِ أنْ يتركَ القراءةَ في بيتهِ، وأنَّهُ ينبغي أنْ يجعلَ في بيتهِ جزءاً من تلاوتهِ، وبعضاً من صلاتهِ التي يتنفلُ بها[1].

وقال العلامةُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد أشار ﷺ إلى أنَّ القبورَ ليستْ موضعاً للقراءةِ شرعاً، فلذلكَ حَضَّ على قراءةِ القرآنِ في البيوتِ ونهى عنْ جعلها كالمقابرِ التي لا يُقْرأُ فيها، كما أشار في الحديثِ الآخرِ إلى أنَّها ليستْ موضعاً للصلاةِ أيضاً، وهو قولُهُ: «**صَلُّوا في بُيُوتِكُم، ولا تَتَّخِذُوها قُبُوراً**»...

ولذلكَ كانَ مذهبُ جمهورِ السَّلفِ كأبي حنيفةَ ومالكٍ وغيرهم كراهةَ القراءةِ عندَ القبورِ، وهو قولُ الإمامِ أحمدَ، فقال أبو داود في «مسائله» (ص١٥٨): «سمعتُ أحمدَ سُئلَ عنْ القراءةِ عندَ القبرِ؟ فقال: لا»[2].

٢ ـ عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ لكلِّ شيءٍ سَنَاماً وسَنَامُ القُرْآنِ سورةُ البقرة، وإنَّ الشَّيطانَ إذا سَمِعَ سورةَ البقرةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ البيتِ الذي يُقْرَأ فيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**»[3].

قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سنامُ الشيءِ أعلاهُ، فالمعنى: أنَّ سورةَ

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٢٦٥).

(٢) أحكام الجنائز (ص٢٤٢).

(٣) رواه الحاكم (١/ ٥٦١) بسند حسن.

البقرةِ أعلى القرآنِ وأرفعهُ. قيل: والمراد بكونها سناماً للقرآنِ أنَّها جمعت من الأحكامِ ما لمْ يجمعهُ غيرُها، وقيل: لطولها طولاً يزيدُ على كلِّ سورةٍ منْ سورِ القرآنِ، والظاهرُ أنَّ هذه الفضيلة لها ثابتةٌ منْ غيرِ نظرٍ إلى طولها، أو جمعها لكثيرٍ من الأحكامِ، ولهذا كان أخذُها بركةً، وكانَ الشيطانُ يفرُّ من البيتِ الذي تقرأ فيهِ[1].

الحِصْنُ الرَّابعُ: آيةُ الكُرْسِيِّ

عن أبيٍّ ابنِ كعبٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بَدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عليه السَّلامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ؟ جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: جِنِّيٌّ. قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هذَا خَلْقُ الْجِنِّ؟ قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ. قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِي. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**صَدَقَ الخَبِيثُ**»[2].

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٢٦٣).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٦١ و٩٦٢)، والطبراني في =

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ. فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**». فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**». فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ

= «المعجم الكبير» (٥٤١) واللفظ له، وجوّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٠) [طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى].

حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قَالَ: لَا. قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

الحِصْنُ الخَامِسُ: آخِرُ آيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ

عن النُّعْمَانِ بنِ بَشيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ بألفَيْ عام، أَنزلَ منهُ آيتَيْنِ خَتمَ بهمَا سورةَ البقرةِ ولا يُقْرآنِ في دارٍ ثلاثَ لَيالٍ فيقربُها شيطانٌ**»(٢).

الحِصْنُ السَّادِسُ: المُعَوِّذَتَانِ

فإنَّ لهما تأثيراً عجيباً في الاستعاذة بالله تعالى منْ شرِّ

---

(١) رواه البخاري (٢٣١١ و٣٢٧٥ و٥٠١٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣١١).

الشَّيطانِ ودفعهِ والتحصُّن منه، وإنَّ حاجةَ العبدِ إلى الاستعاذةِ بهاتينِ السُّورتينِ أعظمُ مِنْ حاجتهِ إلى النَّفسِ والطَّعامِ والشَّرابِ واللباسِ.

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: «**كانَ رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ مِنَ الجانِّ، وعينِ الإنسانِ، حتىَّ نَزَلَتِ المعوِّذتان: فلمَّا نَزَلَتا، أَخَذَ بهما وَتَرَكَ ما سِوَاهُما**»[1].

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ هذهِ الليلةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ؟ قلْ أعوذُ بربِّ الفَلَقِ وقلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**»[2].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَالأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَيَقُولُ: «**يا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»[3].

وتشرعُ قراءةُ المعوِّذتين في المواضعِ التالية:

أولاً: عند الصباح والمساء:

عنْ عبدِ اللهِ بنِ خبيبٍ رضي الله عنه قال: خرجنَا في ليلةٍ

---

(١) رواه النسائي (٥٤٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٠٦٩).

(٢) رواه مسلم (٨١٤).

(٣) رواه أبو داود (١٤٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٤٩).

ممطرةٍ وظلمةٍ شديدةٍ نطلبُ رسولَ الله ﷺ يصلِّي لنا قال: فأدركْتهُ قال: «**قُلْ**» فلمْ أقلْ شيئاً. ثمَّ قال: «**قُلْ**» فلمْ أقلْ شيئاً. قال: «**قُلْ**» فقلتُ: ما أقولُ؟ قال: «**قُلْ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ والمُعَوِّذتَيْن حِينَ تُمْسِي وتُصبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ**»[1].

قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الحديث دليلٌ على أنَّ تلاوةَ هذهِ السور عندَ المساءِ وعندَ الصباحِ تكفي التالي منْ كلِّ شيءٍ يخشى منهُ كائناً ما كان[2].

ثانياً: عند النوم:

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلَى فِراشِهِ كلَّ ليلةٍ جمعَ كَفَّيْهِ ثمَّ نفثَ فيهما فقرأَ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثمَّ يمسحُ[3] بهما ما استطاع من جَسَدِه، يَبدَأ بهما

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٤١).

(٢) تحفة الذاكرين (ص٦٠).

(٣) اعلم بارك الله فيك بأنَّ مسحَ الوجه والجسد باليد خاصٌّ بهذا الموطن فقط، ولا يفهم منه العموم في كلِّ دعاء، داخل الصلاة أو خارجها، وكل ما ورد فيه فهو ضعيفٌ، وليس من عملِ السلف الصالح، ولذلك قال العِزُّ ابنُ عبد السلام في بعض فتاويه: «لا يفعله إلَّا الجُهَّالُ» وانظر ما قاله العلامة الألبانيُّ لقاه الله رضوانَهُ وأسكنَهُ فسيحَ جِنَانِهِ في «الإرواء» (٢/ ١٨٠ ـ ١٨٢) فإنَّه مهمٌ مفيد في بابه.

على رأسِهِ ووجهه وما أَقبَلَ منْ جسدَهِ، يفعلُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ[1].

ثالثاً: في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ:

عنْ عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قَالَ: «**أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ**»[2].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: وفي هذا سِرٌّ عظيمٌ في استدفاعِ الشُّرورِ مِنَ الصَّلاةِ إلى الصَّلاةِ[3].

رابعاً: عند المَرَضِ:

عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «**كانَ رسولُ الله ﷺ إذا مَرِضَ أحدٌ منْ أهْلِهِ، نفثَ عليهِ بالمعوِّذاتِ، فلمَّا مَرِضَ مرضَهُ الذي مات فيهِ، جعلتُ أنْفُثُ عليهِ، وأمْسَحُهُ بِيَدِ نفْسِهِ لأنَّها كانتْ أعظمَ بركةً منْ يدي**»[4].

قال النوويُّ رحمه الله: «وفي هذا الحديثِ استحبابُ الرقيةِ بالقرآنِ وبالأذكار. وإنَّما رقى بالمعوِّذات؛ لأنَّهنَّ جامعاتٌ للاستعاذةِ منْ كلِّ المكروهاتِ؛ جملةً وتفصيلاً. ففيهَا الاستعاذة

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٦ و٥٧٤٨ و٦٣١٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٤).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٨١).

(٤) رواه مسلم (٢١٩٢).

منْ شرِّ ما خلق. فيدخلُ فيه كلُّ شيءٍ، ومنْ شرِّ النفاثاتِ في العقدِ، ومِنَ السَّواحرِ، ومنْ شرِّ الحاسدينَ، ومنْ شرِّ الوسواسِ الخناسِ»[1].

الحِصْنُ السَّابعُ: التَّهْلِيلُ مَائَةَ مَرَّةٍ

وهو حرزٌ عظيمُ النَّفعِ جليلُ الفائدةِ يسيرٌ سهلٌ على منْ يسَّرهُ الله تعالى عليهِ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ[2]، وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، في يومٍ مَائَةَ مَرَّةٍ، كانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رقابٍ، وكُتِبَتْ له مَائَةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عنه مَائَةُ سَيِّئَةٍ، وكَانَتْ له حِرْزاً من**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢٦١ـ٢٦٣).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (ص٣٠١): «**وروحُ هذه الكلمةِ وسرُّها: إفْرادُ الربِّ ـ جلَّ ثناؤهُ وتقدَّستْ أسماؤهُ، وتبارك اسمهُ، وتعالى جدُّهُ، ولا إلهَ غيرهُ ـ؛ بالمحبَّةِ والإجلالِ والتعظيمِ والخوفِ والرجاء، وتوابعِ ذلكَ من التوكل والإنابةِ والرغبةِ والرهبةِ، فلا يُحَبُّ سواهُ، وكلُّ ما يحبُّ غيرَهُ فإنَّما يحبُّ تبعاً لمحبته، وكونهِ وسيلةً إلى زيادةِ محبتهِ، ولا يَخافُ سواهُ، ولا يرجو سواهُ، ولا يتوكلُ إلَّا عليهِ، ولا يرغبُ إلَّا إليه، ولا يرهبُ إلّا منهُ، ولا يحلفُ إلَّا باسمهِ، ولا ينذرُ إلَّا لهُ، ولا يتابُ إلَّا إليه، ولا يُطاعُ إلَّا أمرُهُ، ولا يُتحسَّبُ إلَّا بهِ، ولا يستعانُ في الشدائدِ إلَّا بهِ، ولا يُلتجأُ إلّا إليهِ، ولا يُسْجَدُ إلَّا له، ولا يذبحُ إلَّا له وباسمهِ، ويجتمعُ ذلك كلُّهُ في حرفٍ واحدٍ، وهو: أنْ لا يَعْبُدَ إلَّا إيَّاهُ بجميعِ أنواعِ العبادةِ؛ فهذا هو تحقيقُ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا الله**».

الشيطانِ يومَهُ ذلكَ حتى يمسي...»[1].

الحِصْنُ الثَّامنُ: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالى

وهوَ منْ أنفعِ الحروزِ مِنَ الشَّيطانِ فإنَّ الذاكرَ في حصنِ الذكرِ، فمتى غَفَلَ فَتَحَ العدوُّ بابَ الحصنِ وولجهُ فيصْعُبُ إخراجُهُ.

عَنِ الحارثِ الأشعريِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ الله أمرَ يحيى بن زكريا بخمس كلماتٍ أن يعملَ بها، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلُوا بها. [ومنها قوله:] وآمُرُكُم أنْ تَذْكُرُوا اللهَ فإنَّ مَثَلَ ذلكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خرجَ العدوُّ في أَثَرِهِ سِرَاعاً، حتى إذا أتى على حصنٍ حصينٍ؛ فأَحْرَزَ نفسَهُ منهم، كذلكَ العبدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيطانِ إلَّا بذكرِ اللهِ»**[2].

فشبَّهَ النَّبيُّ ﷺ ذكرَ الله في امتناعِ الإنسانِ بهِ مِنَ الشَّيطانِ بالحصنِ الذي يُمتنعُ بهِ من العدوِّ[3]. وأَخْبَرَ في هذا الحديثِ أنَّ العبْدَ لا يحْرزُ نفسَهُ منَ الشَّيطانِ إلَّا بذكرِ اللهِ. ولَوْ لَمْ يكنْ في ذكرِ الله إلا هذهِ الخصلة الواحدة؛ لكانَ حقيقاً بالعبدِ أنْ لا يفترَ لسانهُ منْ ذكرِ الله تعالى، فإنَّهُ لا يحرزُ نفسَهُ منْ عدوِّهِ؛ إلَّا

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣ و٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٢٩٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٤).

بالذِّكرِ، ولا يدخلُ عليهِ العدوُّ؛ إلَّا منْ بابِ الغفلَةِ، فهوَ يرصدهُ، فإذا غفلَ؛ وثبَ عليهِ وافترسهُ، وإذا ذكرَ الله تعالى؛ انخنسَ عدوُّ الله، وتصاغرَ، وانقمعَ، حتىَّ يكونَ كالذبابِ. «فهو دائماً يترقَّبُ غفلةَ العبدِ، فيبذُرُ في قلبهِ بَذرَ الأماني والشهواتِ والخيالاتِ الباطلةِ فيثمرُ كلَّ حنظلٍ وشوكٍ وكلَّ بلاءٍ، ولا يزالُ يُمِدُّهُ بسَقْيهِ حتى يُغَطِّيَ القلبَ ويُعْمِيَهُ»[1].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلكَ الشَّيطانُ يصطادُ الذي ... لا يذْكرُ الرحمنَ كُلَّ أوانِ
والذكْرُ أنْواعٌ فأعلى نوعهِ ... ذكرُ الصِّفاتِ لربِّنا المنَّانِ
وثبوته أصْلٌ لهذا الذِّكْرِ ... والنَّافي لها داعٍ إلى النِّسْيانِ
فلذاكَ كانَ خليفةَ الشيطانِ ذا ... لا مرحباً بخليفةِ الشيطانِ[2]

وممَّا ينبغي أنْ يُعلمَ بأنَّ إبليسَ لا يزالُ يبعثُ للعبدِ سريةً بعدَ سريةٍ، وكلَّما كانَ العبدُ أقوى طلباً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كانت السَّريةُ أكثفَ وأكثرَ وأعظمَ شوكةً، بحسبِ ما عندَ العبدِ منْ موادِّ الخيرِ والإرادةِ، ولا سبيلَ إلى تفريقِ هذا الجمعِ، إلَّا بدوامِ الذِّكْرِ.

الحِصْنُ التَّاسِعُ: سُجُودُ التِّلَاوَةِ

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قَرأ ابنُ**

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٧٥).
(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ١٩٥).

آدم السَّجدةَ، فسجدَ، اعْتَزَلَ الشيطانُ يبكي، يقولُ: يا ويلي، أُمِرَ ابنُ آدم بالسُّجودِ، فسَجَدَ، فلهُ الجنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجودِ، فعصَيْتُ فلي النَّارُ»[1].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وبكاء إبليس المذكور في الحديث ليس ندماً على معصيةٍ، ولا رجوعاً عنها، وإنَّما ذلك لفرط حسده وغيظه وألمه ممَّا أصابه من دخولِ أحد من ذرية آدم الجنة ونجاته، وذلك نحو ما يعتريه عند الأذان والإقامة ويوم عرفة...

وقوله: «**يا ويلي**» الويل: الهلاك، وويل: كلمة تقال لمن وقع في هلكةٍ[2].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والنَّبيُّ ﷺ ذكرَ هذا ترغيباً فِي هذا السُّجودِ، فدلَّ عَلَى أنَّ هذا السُّجودَ مأمورٌ بهِ، كَمَا كانَ السُّجودُ لآدمَ، لأنَّ كلاهما أمرٌ، وقد سنَّ السجودَ عقبهُ، فمنْ سجدَ كان متشبِّهاً بالملائكةِ، ومنْ أبى تشبَّهَ بإبليسَ، بل هذا سجودٌ لله، فهو أعظمُ مِنَ السجودِ لآدمَ. **وهذا الحديثُ كافٍ فِي الدَّلالةِ عَلَى الوجوبِ**[3].

واعلمْ بأنَّ منْ سجدَ سجودَ التِّلاوةِ دعَا بما ثبتَ عنْ رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٨١).

(٢) المفهم (١/ ٢٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٥).

عَنِ ابنِ عباسٍ ﵄ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إني رأيتني الليلةَ وأنا نائمٌ، كأني أصلِّي خلفَ شجرةٍ، فسجدتُ فسجدَتِ الشَّجرةُ لسجودي، فسمعتها وهي تقولُ: «**اللهمَّ اكتُبْ لي بها عندَكَ أجْراً، وضَعْ عنِّي بها وزراً، واجْعَلْها لي عِنْدَكَ ذُخْراً، وتَقَبَّلْها منِّي كما تقبَّلْتَهَا منْ عَبْدِكَ دَاودَ**»[1].

وعنْ عائشةَ ﵂ قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ في سجودِ القرآنِ باللَّيلِ: «**سَجَدَ وَجْهِي للَّذِي خَلَقَهُ، وشقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»[2].

الحِصْن العَاشِرُ: التَّسْمِيَةُ

منْ أرادَ أنْ يتحصَّنَ بالله مِنَ الشَّيطانِ فعليهِ إذا قامَ بأيِّ عملٍ أنْ يبدأَه بالتسمية «**بِسْمِ اللهِ**»، منْ أجلِ ذلك أُمرنَا بالتَّسميةِ في أمورٍ كثيرةٍ لقهرِ الشَّيطانِ أذكرُ منها:

الموضعُ الأولُ: إذا عَثَرتِ الدّابَّةُ:

عن أبي المَليح، عن رجل قال: كنت رديفَ النبيِّ ﷺ، فعثرت دابته، فقلتُ: تَعِسَ الشَّيطانُ، فقالَ: «**لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيطانُ، فإنَّكَ إذا قلتَ ذلكَ تعاظَم حتّى يصيرَ مثلَ البيتِ،**

---

(١) رواه الترمذي (٥٨٤)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٤٧٣).

(٢) رواه الترمذي (٥٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٤٧٤).

ويقول: بقوَّتي، ولكن قلْ: بسم الله، فإنَّكَ إذا قلت ذلك، تصاغر، حتى يكونَ مثلَ الذبابِ»[1].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومثْلُ هذا قولُ القائلِ: أخْزى اللهُ الشَّيطانَ، وقبَّحَ اللهُ الشَّيطانَ، فإنَّ ذلكَ كُلَّهُ يُفْرِحُهُ ويقولُ: عَلِمَ ابنُ آدمَ أنِّي قدْ نلْتهُ بقوَّتي، وذلكَ ممَّا يُعِينهُ على إغْوائهِ، ولا يُفيدهُ شيئاً، فأرْشدَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ مسَّهُ شيءٌ مِنَ الشَّيطانِ أنْ يذكرَ الله تعالى، ويذْكرَ اسمَهُ، ويستعيذَ بالله منه، فإنَّ ذلكَ أنْفعُ لهُ، وأغيظُ للشَّيطانِ[2].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ ﷺ: «**لَا تسُبُّوا الشَّيطانَ وَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ شرِّه**»[3].

أَعْظِمْ بِبَسْمَلَةٍ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ذِكْرُهَا يَصِيْرُ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ إِذْ لَهَا يَسْمَعُ[4]

الموضعُ الثاني: عندَ الخروجِ من البَيْتِ:

عنْ أنسٍ ابنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا خرجَ الرَّجلُ من بيته فقالَ: بسم الله، توكَّلْتُ على الله، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، يقالُ حينئذٍ: هُدِيْتَ، وكُفِيْتَ، ووُقِيتَ، فتتَنَحَّى لهُ**

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤١٦٨).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٣٥٦).

(٣) رواه أبو طاهر المخلص (٩/ ١٩٦/ ٢) وعنه الديلمي (٤/ ١٤٨)، وإسناده صحيح [«الصحيحة» (٥/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨)].

(٤) نظم العلم الأسنى بشرح الأسماء الحسنى (ص٢٩).

الشَّياطينُ، فيقولُ شيطانٌ لآخَرَ: كيفَ لَكَ برجلٍ قدْ هُدِيَ، وكُفِيَ، ووُقِيَ؟»[1].

الموضعُ الثالثُ: عند الجِمَاع:

عَنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أمَا إنَّ أحدَكُم إذا أتى أهلَهُ، وقالَ: بسم الله، اللهمَّ جنِّبْنا الشَّيطانَ، وجنِّبِ الشَّيطانَ ما رَزَقْتَنا، فرُزِقَا ولداً لم يضرَّهُ الشَّيطانُ**»[2].

قال الصنعانيُّ رحمه الله: «وفي الحديثِ استحبابُ التَّسميةِ وبيانُ بركتهَا في كلِّ حالٍ، وأنْ يُعْتَصَم بالله وذكرهِ مِنَ الشَّيطانِ، والتبرك باسمه والاستعاذةُ بهِ منْ جميعِ الأشياءِ، وفيه أنَّ الشَّيطانَ لا يفارقُ ابنَ آدمَ في حالٍ من الأحوالِ إلَّا إذا ذكرَ الله»[3].

الموضعُ الرابعُ: عندَ الدُّخولِ إلى الخَلَاءِ:

عنْ عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سَتْرُ ما بينَ أَعْيُنِ الجِنِّ وعَوْرَاتِ بَني آدَمَ إذا دخلَ أحدُهُم الخَلَاءَ أنْ يقولَ: بسم الله**»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٤١ و٣٢٧١ و٣٢٨٣ و٥١٦٥ و٦٣٨٨ و٧٣٩٦)، ومسلم (١٤٣١).

(٣) سبل السلام (٣/ ١٤٣).

(٤) رواه الترمذي (٦٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٤٩٦).

الموضعُ الخامسُ: على الطعام:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»[1].

وفي هذا الحديثِ استحبابُ ذكر الله تعالى عندَ دخولِ البيتِ وعندَ الطعامِ[2].

وهاهنا مسألةٌ تدعو الحاجةُ إليها، وهي أنَّ الآكلينَ إذا كانوا جماعةً، فسمَّى أحدهم، هلْ تزولُ مشاركةُ الشَّيطانِ لهم في طعامهم بتسميتهِ وحده، أمْ لا تزولُ إلَّا بتسميةِ الجميع؟.

وقد يقالُ: لا ترفعُ مشاركةُ الشَّيطانِ للآكلِ إلَّا بتسميتهِ هوَ، ولا يكفيهِ تسميةُ غيرِهِ.

عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يأكلُ طعاماً في ستةٍ منْ أصحابهِ، فجاءَ أعرابيٌّ فأكلَهُ بلقمتين، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما إنَّهُ لوْ سمَّى لكفاكم**»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٣٦)، وصححه المحدِّثُ الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٥١٤).

ومِنَ المعلومِ أنَّ رسولَ الله ﷺ وأولئكَ الستة سمَّوا، فلمَّا جاءَ هذا الأعرابيُّ فأكلَ ولمْ يسمِّ، شاركهُ الشَّيطانُ في أكلهِ فأكلَ الطعامَ بلُقْمتينِ، ولو سمَّى لكفى الجميعَ[1].

الحِصْنُ الحَادِيْ عَشَرَ: التَّسْلِيمُ لِلْقَدَرِ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله مِنَ المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجَزْ، وإنْ أصابكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قلْ: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعلَ، فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشَّيطانِ**»[2].

أمرَ النبيُّ ﷺ المؤمنَ أنْ يحرصَ على ما ينفعهُ وأنْ يستعينَ بالله، وهذا مطابقٌ لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

فإنَّ الحرصَ على ما ينفعُ العبد هو طاعةُ الله وعبادتُه؛ إذ النَّافعُ لهُ هوَ طاعةُ الله ولا شيء أنفعُ له من ذلكَ، وكلُّ ما يُستعانُ بهِ على الطاعةِ فهو طاعةٌ وإنْ كانَ من جنسِ المباحِ[3].

وأمرهُ إذا أصابتهُ المصائبُ أن ينظرَ إلى القدرِ، ولا يتحسَّر

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٦٦ و٣٧٠) (٨٧٧٧ و٨٨١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١).

على الماضي[1]. فإنَّ ذلك إنَّما يورثُ حسرةً وحزناً لا يفيدُ، والتَّسليمُ للقدرِ هوَ الذي ينفعهُ[2].

وذلك لأنَّ قولَه: لو كنتُ فَعلتُ كذا وكذا، لم يَفُتني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعتُ فيه، كلامٌ لا يُجدي عليه فائدةً البتة، فإنه غيرُ مستقبلٍ لما استدبَر منْ أمرهِ، وغيرُ مستقبِلٍ عثرتَه بـ «لو»[3].

وذلكَ لأنَّ الإنسانَ بين أمرينِ: أمرٌ أُمِر بفعلِهِ فعليهِ أن يفعلَه ويحرصَ عليهِ، ويستعينَ الله ولا يعجز، وأمرٌ أصيبَ بهِ من غيرِ فعلهِ فعليهِ أنْ يصبرَ عليهِ ولا يجزع منه؛ ولهذا قالَ بعضُ العقلاءِ: **الأمرُ أمرانِ: أمرٌ فيهِ حيلةٌ فلا تعجزْ عنهُ، وأمرٌ لا حيلةَ فيهِ فلا تجزعْ منهُ**. وهذا في جميعِ الأمورِ؛ لكن ـ عند المؤمنِ ـ الذي فيهِ حيلةٌ هوَ ماَ أمرَ الله بهِ وأحبَّهُ لهُ؛ فإنَّ الله لم يأمرهُ إلا بما فيهِ حيلةٌ لهُ، إذْ لا يكلِّفُ نفساً إلا وسعهَا، وقدْ أمرهُ بكلِّ خيرٍ فيهِ لهُ حيلة، ومَا لَا حيلةَ فيهِ هوَ مَا أصيبَ بهِ منْ غيرِ فعلهِ[4]. فلا يجزع منهُ، ويلبسُ له لباسهُ، ويأخذُ لهُ عُدتهُ، ويتأهَّبُ له أُهبته اللائقة به، ويستَجِنُّ بِجُنَّةٍ حصينةٍ من التَّوحيدِ، والتَّوكُّلِ، والانطراحِ بين يديِّ الربِّ تعالى، والاستسلامِ له والرضى به ربّاً في كلِّ شيءٍ، ولا يرضى بهِ ربّاً فيما يحبُّ دونَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٢٠).
(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٥٧).
(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٨ ـ ٣٩).

ما يكرهُ، فإذا كانَ هكذا، لمْ يَرْضَى بهِ ربّاً على الإطلاقِ فلا يرضاهُ الربُّ لهُ عبداً على الإطلاقِ[1].

الحِصْن الثَّانِي عَشَرَ: قِيَامُ اللَّيْلِ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدكُمْ إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ يَضْربُ على مكانِ كلِّ عُقْدَةٍ: عليك ليلٌ طَويلٌ فارْقُدْ. فإن استيقظَ فذَكَرَ اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ، فإنْ توضَّأَ انحلَّتْ عُقْدةٌ، فإن صلَّى انحلَّتْ عقْدةٌ، فأصبَحَ نشيطاً طيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أصبحَ خبيثَ النَّفسِ كَسْلَانَ**»[2].

اعلمْ رحمكَ الله بأنَّ عدوَّكَ اللَّدودَ، وخصمكَ العتيدَ العنيدَ، الشَّيطانُ الرجيمُ المريدُ، يحاولُ بشتَّى الوسائلِ والمكائدِ أنْ يصْرِفَكَ عن القيامِ، وأنْ يَحُولَ بينكَ وبينَ مناجاةِ ذي الجلالِ والإكْرامِ، لعلْمِهِ بأهميَّةِ القيامِ، وفضلهِ الجزيلِ عند اللطيفِ السَّلامِ، فهلْ يا تُرَى ستنقادُ لوساوسهِ؟!! وتستسلمُ لحبائلهِ؟!! أمْ أنَّكَ ستحاربهُ يا همَّام!! فأبشر بنصرِ الملكِ العلَّامِ!![3].

أَلاَ فَحُلُّوْا عُقَدَ الشَّيْطَانِ يَعْقِدُهَا ... فِي قَافِيَةِ الْعَبْدِ يَشْدُدْهَا بِشَدَّاتِ
يَقُولُ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيْلٌ كَيْ يُفَوِّتَه ... طُوْبَى لِمَنْ يُخَالِفُهُ يَظْفَرْ بِالسَّعَادَاتِ[4]

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٥٩).
(٢) رواه البخاري (١١٤٢ و٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦).
(٣) كيف تتحمس لقيام الليل (ص٩٦).
(٤) نظم العلم الأسنى بشرح الأسماء الحسنى (ص١٤٨).

الحِصْنُ الثَّالِثُ عَشَرَ: الاسْتِعَاذَةُ

لمَّا علم ﷻ جِدَّ العدوِّ وتفرُّغَه للعبدِ، وعجزَ العبدِ عنهُ، أمرهُ بأنْ يستعيذَ بهِ ﷻ ويلتجيءَ إليه في صرفهِ عنهُ، فيُكتفى بالاستعاذةِ مؤنةَ محاربتهِ ومقاومتهِ، فكأنَّهُ قيلَ لهُ: لا طاقةَ لكَ بهذا العدوِّ فاستعذْ بي واسْتَجِرْ بي أَكْفِكَهُ، وأَمْنَعْكَ منهُ. ومَنِ استعاذَ بالملكِ الرَّحمن، سَلِمَ منْ شرِّ العدوِّ الشَّيطان.

والاستعاذةُ طريقٌ مفضيةٌ إلى المقصودِ وهيَ الالتجاءُ إلى الله تعالى منْ شرِّ كلِّ ذي شر، ومعنى أعوذُ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرجيم: أي أستجيرُ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرجيم أنْ يضُرَّني في ديني أو دنياي أو يصدَّني عنْ فعل ما أُمرت به، أو يحثَّني على فعلِ ما نُهيتُ عنه؛ فإنَّ الشيطانَ لا يكُفُّه عَنِ الإنسانِ إلا الرحمٰنُ.

ولهذا أمرَ اللهُ تعالى بمصانعةِ شيطانِ الإنسِ ومداراتهِ بإسداءِ الجميلِ إليه ليردَّهُ طبعهُ عمَّا هوَ فيهِ مِنَ الأذى، وأمرَ بالاستعاذةِ بهِ منْ شيطانِ الجنِّ لأنَّه لا يقبلُ رشوةً ولا يؤثِّرُ فيه جميلٌ ولا يقبلُ مصانعةً ولا إحساناً، لأنَّه شريرٌ بالطَّبعِ، ولا يبتغي غير هلاكَ ودمارَكَ بالكليَّةِ، فإنَّه عدوٌّ مبينٌ لكَ ولأبيكَ منْ قبلكَ.

فما هوَ إلا الاستعاذةُ ضارعاً ... أو الدَّفعُ بالحسنى هما خيرُ مَطلوبِ
فهذا دواءُ الدَّاءِ من شرِّ ما يُرى ... وذاك دواءُ الدَّاءِ من شرِّ محجوبِ[1]

وتشرع الاستعاذة عند أمور كثيرة.

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٦٣).

أولاً: عند تلاوةِ القُرآنِ:

قـــــــال اللهُ ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

فأمر الله ﷻ العبدَ بالاستعاذةِ بالله مِنَ الشَّيطانِ ليَحيَى قلبهُ ويستنيرَ بما يتدبره ويتفهمه من كلام سيِّدهِ، الذي هو سببُ حياتهِ ونعيمهِ وفلاحهِ، فالشَّيطانُ أحرصُ على اقتطاعِ قلبهِ عنْ مقْصودِ التلاوة.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ المستعيذَ بالله مستجيرٌ به، لاجيءٌ إليه، مستغيثٌ بهِ مِنَ الشيطانِ؛ فالعائذُ بغيرهِ مستجيرٌ بهِ؛ فإذا عاذَ العبدُ بربهِ كانَ مستجيراً بهِ متوكِّلاً عليه فيعيذهُ اللهُ مِنَ الشيطان ويجيرهُ منهُ»[1].

ثانياً: عند دخول المسجد:

عن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا دخلَ المسْجدَ قال: «**أعوذُ بالله العظيم، وبوَجْهِه الكريم، وسُلطانِهِ القديم، مِنَ الشَّيطانِ الرجيم**» قال: «**فإذا قلتَ ذلكَ، قالَ الشيطانُ: حُفِظَ مِنِّي سائرَ اليومِ**»[2].

قال العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنْ قلتَ: ما معنى اختصاص وجه الله الكريم، وسلطانه القديم بالذكر عند الاستعاذة؟.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٤١).

قلتُ: لأنَّ التعوذَ إنَّما يصحُّ بمن انتهى كرمه، وعلا شأنه، وكملت قدرته، فلا يَخْذِلُ المستعيذَ به، ولا يُسْلِمُهُ، ولا يُخيِّبُ رجاءَهُ، ولا يعجز عن أمره، ولا يحيل إلى غيره، وذلك بما لا يوجد إلَّا عند الله، ولا ينال إلَّا منه[1].

ثالثاً: عند الدخول إلى الخلاء:

عن زيدٍ ابنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ هذه الحشوشَ مُحْتَضَرةٌ ـ يعني تحضرها الشياطين ـ فإذا أتى أحدُكم الخلاءَ فليقُلْ: أعوذُ بالله من الخُبُثِ والخَبَائِثِ**»[2].

الحُشوش: الكَنَفَ، وأصل الحش جماعة النخلِ الكثيفة، وكانوا يَقْضُون حوائجَهم إليها قبل أنْ يتخذوا الكنف في البيوت.

ومعنى مُحْتَضَرة: أي تحضرها الشياطينُ وتنتابها.

والخُبُث بضم الباء: جماعةُ الخبيث، والخبائثُ جمع الخبيثة؛ يريد ذكران الشياطين وإناثهم[3].

رابعاً: عند الغضب:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا غضبَ الرَّجلُ**

---

(١) العلم الهيِّب في شرح الكلم الطيب (ص٢٣٢).

(٢) رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٦٩ و٣٧٣) (١٩٣٤١ و١٩٣٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٦٣).

(٣) معالم السنن (١/ ١٠).

فقالَ: أعوذُ بالله، سكنَ غضبُهُ»[1].

وعن سليمانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً مع النبيِّ ﷺ، ورجلان يستبَّان، فأحدُهما احمرَّ وجهُه وانتفخَتْ أوداجُهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إني لأعلَمُ كلمةً لو قالها ذهبَ عنهُ ما يجد، لو قال: أعوذُ بالله من الشَّيطانِ، ذهبَ عنهُ ما يجد**»[2].

وهذا الحديثُ «يدلُّ على أنَّ الشيطانَ له تأثيرٌ في تهييج الغضبِ وزيادتهِ، حتى يحملَهُ على البطشِ بالمغضوبِ عليهِ، أو إتلافهِ، أو إتلافِ نفسهِ، أو شرٍّ يفعله يستحقُّ به العقوبةَ في الدُّنيا والآخرةِ، فإذا تعوَّذ الغضبانُ بالله من الشَّيطانِ الرجيم، وصحَّ قصدهُ لذلكَ، فقد التجأ إلى الله تعالى وقصَدَهُ واستجَارَ بهِ، والله تعالى أكرمُ من أنْ يخذلَ مَنِ استجارَ بهِ»[3].

قال العلامة العينيُّ رحمه الله: واستفيد من هذا الحديث فوائد:

الأولى: أنَّ الغضبَ في غير الله من نزغ الشيطان.

والثانيةُ: ينبغي لصاحب الغضب أنْ يستعيذَ، فيقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وأنَّه سببٌ لزوالِ الغضبِ[4].

---

(١) أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (١/٢٩٧) عن أبي هريرة مرفوعاً [«الصحيحة» (١٣٧١)].

(٢) رواه البخاري (٣٢٨٢) و(٦٠٤٨) و(٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

(٣) المفهم (٦/٥٩٤).

(٤) العلم الهيِّب في شرح الكلم الطيب (ص٥٢٨).

وقال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ الغضبَ متسببٌ عن عملِ الشيطانِ، ولهذا كانت الاستعاذةُ مذهبةً للغضبِ، فمن غضبَ في غير حقٍّ ولا موعظة صدقٍ فليعلمْ أنَّ الشيطانَ هو الذي يتلاعبُ به، وأنَّهُ مسَّهُ طائفٌ منهُ، وفي هذا ما يزجرُ عن الغضبِ لكلِّ منْ يودُّ أنْ لا يكونَ في يدِ الشيطانِ يصرِّفه كيف يشاء[1].

خامساً: بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة:

عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل كبَّر ثمَّ يقول: «**سبحانكَ اللهمَّ وبحمدِكَ وتبارَكَ اسمُكَ وتعالى جَدُّكَ ولا إلهَ غيرُك**» ثم يقول: «**لا إلهَ إلا اللهُ ثلاثاً**» ثم يقول: «**اللهُ أكبرُ كبيراً ثلاثاً**» ثم يقول: «**أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ من هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ**»[2].

همزُه: المُوتَة، وهو بضم الميم وفتح التاء: نوع من الجنون.

ونفخُه: فسره الراوي بالكبر.

ونفثُه: فسَّرهُ الراوي بالشعر، والتفسيرات الثلاثة وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ بسند صحيح مرسل، والمراد بالشعر:

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٢٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٧٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٧٠١).

الشعر المذموم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ مِن الشِّعْرِ حِكْمَةً**» رواه البخاري[1].

سادساً: عند الإحساس بنَزَغَات الشيطان:

والاستعاذة أحصنُ حصنٍ لدينِ المؤمنِ منْ كيدِ الشَّيطانِ الرَّجيم، وأحْرزُ حرزٍ لقلبهِ من وسَاوسِ العدوِّ اللئيم. قال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

فأمرَ الله ﷻ نبيَّهُ بالاستعاذة بربوبيته التامَّة الكاملة من هذا الخلق العظيم شأنه في الفساد، لأنَّه أصل كلِّ شرٍّ وقاعدته ومنبعه[2].

وإذا كان خيرُ العالمينَ وأعْقلُهمْ وأفْضلُهمْ عندَ الله تعالى يحتاجُ مَعَ ذلكَ إلى أنْ يسْتعيذَ بالله منْ شرِّ الشيطانِ؛ فكيفَ بكَ معْ جهْلِكَ وغفْلَتِكَ ونقْصِكَ؟!.

وليتأمَّل القاريءُ اللبيبُ الأحاديثَ التاليةَ:

أ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يأتي**

---

(١) صفة صلاة النبي ﷺ (ص٩٥ ـ ٩٦).

(٢) انظر: الروح (ص٣١١)

الشَّيطانُ أحدَكُم فيقولُ: مَنْ خَلَقَ كذا، مَنْ خلقَ كذا، حتَّى يقول: منْ خلقَ ربَّكَ؟ فإذا بلغهُ فليستَعِذْ باللهِ وَلْيَنْتَهِ»[1].

ب ـ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ أحدَكُم يأتيه الشَّيطانُ فيقولُ: من خَلَقَكَ؟ فيقولُ اللهُ: فيقولُ: فمَنْ خلقَ اللهَ؟ فإذا وجدَ ذلكَ أحدُكم فَلَيَقْرَأْ آمنتُ بالله ورسلهِ، فإنَّ ذلكَ يذهبُ عنهُ**»[2].

ج ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يُوشِكُ النَّاسُ يتساءلونَ بينهم حتَّى يقولُ قائلُهم: هذا اللهُ خلقَ الخلقَ فمن خلقَ اللهَ عز وجل؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾** [الإخلاص: ١ ـ ٣] **ثم لْيَتْفِلْ عنْ يسارِهِ ثلاثاً، وليستَعِذْ مِنَ الشَّيطانِ**»[3].

قال العلامةُ الألبانيُّ رحمه الله: دلَّت هذه الأحاديثُ الصَّحيحةُ على أنَّهُ يجبُ على منْ وسوس إليه الشَّيطانُ بقوله: من خلق الله؟ أنْ ينصرفَ عنْ مجادلتهِ إلى إجابتهِ بما جاءَ في الأحاديثِ المذكورةِ، وخلاصتها أنْ يقولَ: **آمنتُ بالله ورسله، اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُواً أَحَدٌ. ثمَّ يتفلُ عن**

---

(١) رواه البخاري (٣١٠٢).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٥٨) بسند حسن.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٢)، وابن السني (٦٢١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١١٨).

يساره ثلاثاً، ويستعيذُ بالله من الشيطان، ثمَّ ينتهي عن الانسياق معَ الوَسْوَسَةِ.

وأعتقدُ أنَّ منْ فعلَ ذلكَ طاعةً لله ورسولهِ، مخلصاً في ذلكَ أنَّهُ لا بدَّ أنْ تذهبَ الوسوسةُ عنهُ، ويندحرُ شيطانهُ لقولهِ ﷺ: «**فإنَّ ذلكَ يذهبُ عنه**».

وهذا التعليمُ النَّبويُّ الكريمُ أنفعُ وأقطعُ للوسوسةِ مِنَ المجادلةِ العقليةِ في هذه القضيةِ، فإنَّ المجادلةَ قلَّما تنفعُ في مثلها. ومِنَ المؤسف أنَّ أكثرَ النَّاسِ في غفلةٍ عنْ هذا التعليم النَّبويِّ الكريمِ، فتنَبَّهوا أيُّها المسلمونَ، وتعرَّفوا إلى سنَّةِ نبيِّكُم، واعملوا بها، فإنَّ فيهَا شفاءَكُم وعِزَّكم[1].

سابعاً: الاستعاذةُ من تَخَبُّط الشيطان عند الموت:

منْ دعاء النَّبي ﷺ: «**وأعوذُ بكَ أنْ يتخبَّطنيَ الشَّيطانُ عندَ الموتِ**»[2].

قالَ الشَّوكانيُّ رحمه الله: استعاذَ ﷺ منْ أنْ يتخبَّطَهُ الشَّيطانُ عندَ الموتِ: أي يفتنهُ ويغلبهُ على أمْرِهِ، ويحسِّنُ له ما هو قبيحٌ، ويقبِّحُ لهُ ما هوَ حسنٌ، وينالهُ بشيءٍ مِنَ المسِّ كالصَّرعِ والجنونِ، ولمَّا قيَّدهُ بالتَّخبُّط عندَ الموتِ كانَ أظْهر المعاني فيه هو أنْ يغويه

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٥).

(٢) رواه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣٣ و٥٥٣٤ و٥٥٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٨٢).

ويوسوس له ويلهيه عن التثبت بالشهادة والإقرار بالتوحيد[1].

وقال الخطابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: استعاذتُهُ من تخبُّطِ الشَّيطانِ عندَ الموتِ هو أنْ يستوليَ عليه الشَّيطانُ عندَ مفارقةِ الدُّنيا فيضلَّه ويحول بينه وبين التوبةِ، أو يعوقه عنْ إصلاحِ شأنهِ والخروجِ منْ مظلمةٍ تكون قبله، أو يؤيسهُ منْ رحمة الله، أو يتكره الموت ويتأسف على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء والنُّقْلَةِ إلى الدار الآخرة، فيختم له بالسوء ويلقى الله وهو ساخط عليه...

بالله نعوذُ منْ شرِّهِ، ونسألهُ أنْ يبارِكَ لنا في ذلكَ المصرعِ، وأنْ يختمَ لنَا بخيرٍ[2].

ثامناً: عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير:

عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا سمِعْتُم نِباحَ الكلابِ، ونَهِيقَ الحميرِ بالليلِ فتعوَّذُوا باللهِ من الشَّيطانِ، فإنهنَّ يَرَيْنَ ما لا تَرَونَ...**»[3].

قال العلامة العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّما قيَّدَ التَّعوُّذَ في هذا الحديث إذا سمعوا نباحَ الكلبِ ونهيقَ الحميرِ بالليلِ، لأنَّ الليلَ وقتُ

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٢٨١).

(٢) معالم السنن (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٥١٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٦ و٣٥٥ و٣٥٦) (١٤٣٢٤ و١٤٨٧٣ و١٤٨٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠).

انتشارِ الشياطينِ، فلذلك قال: «**فإنَّهنَّ يَرَيْنَ**» ـ من الشياطين والجن ـ «**ما لا تَرَوْنَ**» أنتم، وأمَّا بالنَّهارُ فيمكن أنْ يكونَ النباحُ والنهيقُ لعلةٍ أخرى، وإنْ كانت هذه العلة موجودة في الليل، لكن الغالب في الليل رؤية الشياطين، والحكم يدور على الغالب، والله أعلم[1].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «... **إذا سمعتم نهيقَ الحَمِيرِ فتعوَّذُوا باللهِ من الشَّيطانِ فإنَّها رَأَتْ شيطاناً**»[2].

وعن صهيبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نَهَقَ الحمارُ فتعوَّذُوا بالله مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم**»[3].

قال القرطبيُّ رحمه الله: وإنَّما أمر بالتعوُّذ مِنَ الشَّيطانِ عندَ نهيقِ الحمير، لأنَّ الشَّيطانَ لمَّا حضرَ يُخافُ منْ شرِّهِ، فينبغي أنْ يُتَعَوَّذَ منه[4].

تاسعاً: عند الفزع في النوم:

عن ابن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا فَزِعَ**

---

(١) العلم الهيِّب في شرح الكلم الطيب (ص٥١٩).
(٢) قطعة من حديث: رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٣٩) (٧٣١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩).
(٤) المفهم (٧/ ٥٨).

أَحَدُكُمْ في النَّوْم فَلْيَقُلْ: أعُوذُ بكَلِمَات الله التَّامَّة، مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وشَرِّ عِبَادِهِ، ومِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطينِ وأَنْ يَحْضُرُون، فإنَّها لَنْ تَضُرَّه»[1].

قال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ غيرُ مخلوقٍ، لأنَّهُ لا يُستعاذُ بمخلوقٍ، وليسَ في هذا الحديثِ ما يحتاجُ إلى تفسيرٍ إلَّا قوله: وأنْ يحضُرُون، فإنَّ أهل المعاني قالوا: معناهُ وأنْ يصيبوني بسوء. وكذلك قال أهل التفسير في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨] يصيبوني بسوء.

ومثلُ هذا قولُ رسولِ الله ﷺ: «**إنَّ هذه الحشوشَ محتضرةٌ**»[2] **أي يصابُ النَّاسُ فيها. ومن هذا أيضاً قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨] أي يصيب منه صاحبه[3].

عاشراً: عند رؤية الإنسان في المنام ما يكره:

عن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الرؤيا الحسنةُ مِنَ الله، فإذا رأى أحدُكم ما يحبُّ فلا يُحَدِّثْ بهِ إلا منْ**

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٩٣).

(٢) سبق تخريجه (صفحة ٧٩).

(٣) التمهيد (٢٤/ ١١٠ ـ ١١١).

يحبُّ، وإذا رأى ما يكرهُ، فليتعوَّذْ بالله من شرِّها، ومنْ شرِّ الشَّيطانِ، ولْيَتْفُلْ ثلاثاً ولا يُحَدِّثْ بها أَحداً، فإنَّها لا تضرُّهُ»[1].

قال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الحديث نصٌّ في معنى الرؤيا ودليلٌ.

فالنَّصُ منه: أنَّ منْ رأى في منامهِ ما يكرهُ، فنفثَ عنْ يسارهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، وتعوَّذَ بالله منْ شرِّ ما رأى، لم تضرَّهُ تلكَ الرؤيا.

والدليلُ منه: أنَّ كلَّ ما يكرهُ منْ أنواعِ الرؤيا فهوَ حلمٌ، وليس برؤيا بل هي أضغاثٌ لا تضرُّهُ إذا استعاذَ بالله الذي رآها، منْ شرِّها، ونفثَ، كما أتى في الحديثِ ـ والله أعلم ـ[2].

الحادي عَشَرَ: عند العين والحسد:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ ويقول: «**أُعِيذُكُمَا بكلماتِ الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومنْ كلِّ عينٍ لامَّة**» ثمَّ يقول: «**كان أبوكم يُعوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاق**»[3].

الثاني عَشَرَ: عند الصباح والمساء:

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ سألَ النَّبيَّ ﷺ: يا رسول الله! علمني

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) الاستذكار (٢٧/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) رواه البخاري (٣٣٧١)، وأبو داود (٤٧٣٧) واللفظ له.

ما أقول إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، فقال: «**يا أبا بكر! قل: اللَّهمَّ فاطرَ السموات والأرض، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيء ومَليكَهُ، أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ وشِرْكِهِ، وأنْ أقْترفَ على نفسي سوءاً، أو أجُرَّهُ إلى مسلم**»[1].

قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: لـمَّا كانَ الشَّرُّ لهُ مصدرٌ يبتديءُ منهُ، وغايةٌ ينتهي إليها، وكانَ مصدرُهُ إمَّا منْ نفسِ الإنسانِ، وإمَّا مِنَ الشَّيطانِ، وغايتهُ أنْ يعودَ على صاحبهِ أو على أخيهِ المسلم، تضمَّنَ الدعاءُ هذه المراتبَ الأربعةَ، بأوجزِ لفظٍ وأفْصحهِ وأبْيَنهِ[2].

فائدةُ الاستعاذة: حُكي عنْ بعضِ السَّلفِ أنَّهُ قالَ لتلميذهِ: ما تصنعُ بالشيطانِ إذا سَوَّل لك الخطايا؟ قالَ: أُجاهدُهُ. قالَ: فإنْ عادَ؟ قالَ: أُجاهِدُهُ. قال: هذا يطولُ، أرأيتَ إنْ مررتَ بغنم، فنَبَحكَ كلبُها، أو منعَكَ من العبورِ؛ ما تصنعُ؟ قالَ: أُكابِدُه، وأَردُّهُ جَهْدي، قالَ: هذا يطولُ عليكَ، ولكنْ اسْتَعِنْ بصاحبِ الغنَمِ؛ يَكُفَّهُ عنكَ![3].

الحِصْنُ الرَّابعُ عَشَرَ: كَظْمُ الغَيْظِ

اعلمْ رحمكَ الله بأنَّ «الغضبَ مثلُ السبعِ إذا أفلتهُ صاحبهُ

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩١٤).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٤٦٨).

(٣) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٦٠).

بدأ بأكلهِ»[1].

ولهذا يخرجُ بهِ الإنسانُ: عن اعتدالِ حالهِ، ويتكلَّمُ بالباطلِ، ويفعلُ المذمومَ، وينوي الحقدَ والبغضَ، وغيرَ ذلكَ مِنَ القبائحِ المرتبة على الغضبِ.

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ، للذي قالَ لهُ أوصني: «**لا تَغْضَبْ**». فردد مراراً، قال: «**لا تَغْضَبْ**». فلمْ يزدهُ في الوصيةِ، على «**لا تَغْضَبْ**»، مع تكرارهِ الطلب.

وهذا دليلٌ ظاهرٌ، في عِظَمِ مفسدةِ الغضبِ، وما ينشأُ عنهُ[2].

والشَّيطانُ إنَّما يظفرُ بالإنسانِ غالباً عندَ الغضبِ، فهناكَ يصطادهُ، فإنَّهُ يقولُ ما لا يرضي الرَّبّ، ويفعلُ ما لا يرضيه. ومنْ كظمَ غيظهُ ورَدَّ غضبَهُ أخزى شيطانهُ، وسَلِمَتْ مروءتهُ ودينهُ.

عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ مرَّ على قومٍ يصطرعونَ فقالَ: «**ما هذا؟**» قالوا: فلانٌ ما يصارعُ أحداً إلَّا صرعَهُ. قال: «**أفلا أَدُلُّكم على منْ هوَ أشدُّ منهُ؟ رجلٌ كلَّمهُ رجلٌ فكظمَ غيظَهُ فغلبهُ وغَلَبَ شيطانَهُ وَغَلَبَ شيطانَ صاحبِهِ**»[3].

ولهذا فإن أجرَ كظمِ الغيظِ: «**عظيمٌ لما فيه من طاعةِ الرحمن وإرغامِ الشَّيطانِ**»[4].

---

(١) الفوائد (ص٢٨٢).

(٢) السراج الوهاج (١٠/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) رواه البزار (٢٠٥٤ كشف الأستار)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥١٩).

(٤) شجرة المعارف (ص٣٣٧).

فاحرص يا أخي ـ بارك الله فيك ـ أنْ يكونَ غضبُكَ لله وتذكَّر الحديثَ التالي:

عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رجلاً شتمَ أبا بكرٍ، والنَّبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يعجبُ ويبتسمُ، فلمَّا أكثرَ ردَّ عليهِ بعضَ قولهِ، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ وقامَ، فلَحِقَهُ أبو بكرٍ فقالَ: يا رسول الله! كانَ يشتمُني وأنتَ جالسٌ فلمَّا رددتُ عليهِ بعضَ قولهِ؛ غضبتَ وقمتَ، قال: «**إنَّهُ كانَ معكَ ملكٌ يَرُدُّ عنكَ، فلمَّا رددتَ عليهِ بعضَ قولهِ وَقَعَ الشَّيطانُ، فلمْ أكنْ لأقعدَ مَعَ الشَّيطانِ..**»[1].

الحِصْنُ الخَامِسُ عَشَرَ: تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ

استفاضتْ الأحاديثُ الصَّحيحةُ الصَّريحةُ في الأمرِ بإقامةِ الصُّفوفِ وتسويتِهَا، وبيانِ أهميتهَا في التأليفِ بينَ المسلمينَ؛ لأنَّها مقمعةٌ للشَّياطينِ.

وربَّمَا لا تخفى هذهِ الأحاديثُ على كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، ولكنَّهم عنْ أهميتها غافلونَ، ولذلك فإنِّي أذكرُ هنا الأحاديثَ الصَّريحةَ، في بيانِ أهميَّةِ هذهِ الشَّعيرةِ، في دَحْرِ الشيطانِ، وردِّ كيدِهِ[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٦) (٩٦٢٢)، وجوَّد إسناده المحدّث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٢٣١).

(٢) مقامع الشيطان (ص٦١).

١ ـ عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَقِيمُوا الصُّفوفَ وحَاذُوا بينَ المَناكبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينُوا بأَيْدِي إخوانِكُم ولا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشيطانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفاً وَصَلَهُ اللهُ، ومن قَطَعَ صفّاً قطَعَهُ اللهُ**»(١).

٢ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**أقيمُوا صفوفَكُم...**» وكان أحدُنا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صاحبِهِ وقدمَهُ بقدمِهِ(٢).

ترجمَ البخاري لهذا الحديث بقوله: باب إلزاقِ المنكِبِ بالمنكِبِ، والقدمِ بالقدمِ في الصفِّ.

قال العلامة الألبانيُّ رحمه الله: «وقد أنكر بعض الكاتبين في العصر الحاضر هذا الإلزاق، وزعم أنه هيئة زائدة على الوارد، فيها إيغال في تطبيق السنة! وزعم أنَّ المراد بالإلزاق الحث على سدِّ الخلل لا حقيقة الإلزاق، وهذا تعطيلٌ للأحكام العملية، يشبه تماماً تعطيل الصفات الإلهية، بل هذا أسوأ منه لأن الراوي يتحدث عن أمر مشهود رآه بعينه وهو الإلزاق. ومع ذلك قال: ليس المراد حقيقة الإلزاق! فالله المستعان(٣).

٣ ـ عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنهما قال: أقبل رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٢٠).

(٢) رواه البخاري (٧٢٥).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٧٧).

على الناس بوجهه، فقال: «**أقيمُوا صفوفَكُم؛ ثلاثاً، والله لَتُقِيمُنَّ صفوفَكم أو لَيُخالفنَّ اللهُ بين قلوبِكُم**»، قال: فرأيتُ الرَّجُلَ يَلْصُقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صاحبه، ورُكْبَتَهُ برُكْبَةِ صاحبه، وكَعْبَهُ بكَعْبِهِ[1].

قال العلامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ معلِّقاً على حديثِ أنسٍ والنعمان السابقَين:

وفي هذين الحديثين، فوائُد هامةٌ:

الأولى: وجوبُ إقامة الصفوف وتسويتها والتراص فيها، للأمر بذلك، والأصلُ فيه الوجوب إلَّا لقرينة، كما هو مقررٌ في الأصولِ، والقرينة هنا تؤكد الوجوب وهو قوله ﷺ: «**أو ليخالفنَّ الله بين قلوبكم**». فإنَّ مثلَ هذا التهديد لا يقال فيما ليس بواجب، كما لا يخفى.

الثانيةُ: أنَّ التسوية المذكورة إنَّما تكون بلصقِ المنكب بالمنكب، وحافة القدم بالقدم، لأنَّ هذا هو الذي فعله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين أمروا بإقامة الصفوف...

ومن المؤسف أنَّ هذه السنةَ من التسويةِ قدْ تهاون بها المسلمون، بل أضاعوها إلَّا القليل منهم، فإنِّي لمْ أرها عند طائفة منهم إلَّا أهل الحديث.

وخلاصة القول: أنني أهيب بالمسلمين ـ وخاصةً أئمة

---

(١) رواه أبو داود (٦٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦١٦).

المساجد ـ الحريصين على اتباعه ﷺ واكتساب فضيلة إحياء سنته ﷺ أن يعملوا بهذه السنة ويحرصوا عليها، ويدعوا الناس إليها، حتى يجتمعوا عليها جميعاً. وبذلك ينجون من تهديد «**أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بين قلوبِكُم**»[1].

٤ ـ عن أنسٍ ابنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رصُّوا صفوفَكُم، وقارِبُوا بينها، وحاذُوا بالأَعْنَاقِ، فوالذي نفسي بيده، إني لأرى الشيطانَ يدخلُ من خَلَلِ الصَّفِّ، كأَنَّها الحَذَفُ**[2]»[3].

٥ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سَوُّوا صفوفَكُم، فإنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمَامِ الصَّلَاةِ**»[4].

٦ ـ عن أبي مسعودٍ رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مناكِبَنا في الصَّلاةِ. ويقول: «**اسْتَوُوا ولا تخْتَلِفُوا. فَتَخْتَلِفَ قلوبُكُمْ...**» قال أبو مسعودٍ: فأَنْتُمُ اليَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافاً[5].

قال صديق حسن خان رحمه الله: يريد زمانه. فكيفَ بهذا الزمان

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) الحَذَفُ: غنم صغار سود، ويقال: إنها أكثر ما تكون باليمن [«عون المعبود» ٢/ ٢٥٩].

(٣) رواه أبو داود (٦٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٢١).

(٤) رواه مسلم (٤٣٣)، ورواه البخاري (٧٢٣) بلفظ: «**فإنَّ تسويةَ الصُّفوفِ من إقامةِ الصلاةِ**».

(٥) رواه مسلم (٤٣٢).

الذي عادَ الإسلامُ فيهِ غريباً، وأيُّ غريب؟ درس فيهِ معالم السنن كلّها.

وقدْ صارتْ هذه السنة الصحيحة [تسوية الصفوف]، المحكمة الصريحة، في هذا العصر، بلْ منذُ أعْصارٍ خالية، مهجورة كأنَّها شريعةٌ منسوخةٌ لا يُرَى لها عينٌ، ولا أثرٌ، في صلاةٍ ولا في مسجد.

ودبَّ من هذا الاختلافِ الظاهر، الاختلاف في بواطنِ المسلمين. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[١].

٧ ـ عَنْ جَابِرِ ابنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأول وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»[٢].

٨ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون على الذين يَصِلُون الصُّفوفَ، ومن سَدَّ فرجةً رفعَهُ اللهُ بها دَرَجَةً**»[٣].

---

(١) السراج الوهاج (٢/ ٢٩٢) لصديق حسن خان رحمه الله.

(٢) رواه مسلم (٤٣٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٩٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٨١٤).

الحِصْن السَّادِسُ عَشَرَ: الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما يُخْرِجُ رَجُلٌ صَدَقَتَهُ حتى يَفُكَّ بها لَحْيَيْ سبعينَ شيطاناً**»(١).

الحِصْنُ السَّابِعُ عَشَرَ: سُجُودُ السَّهْوِ

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا شكَّ أحدُكم في صلاتِهِ، فلم يَدْرِ كم صلَّى ثلاثاً أم أربعاً؟ فلْيَطْرَحِ الشكَّ، ولْيَبْنِ على ما استيقَنَ، ثم يسجدُ قبلَ أن يسلِّمَ، فإنْ كانَ صلَّى خمساً شَفَعْنَ له صلاتَهُ، وإنْ كانَ صَلَّى إتماماً لأربعٍ كانتا ترغيماً للشيطان**»(٢).

ومعنى «**ترغيماً**»: أي إغاظةً لهُ، وإذْلالاً. مأخوذٌ من الرِّغام، وهو التُّراب. ومنه: أرغمَ الله أنْفَهُ.

والمعنى: أنَّ الشيطانَ لَبَّسَ عليهِ صلاتَهُ، وتعرَّض لإفسادها ونقْصِها، فجعل الله تعالى للمصلي طريقاً إلى جَبْرِ صلاتهِ، وتدارُكِ ما لبَّسَهُ عليهِ وإرْغامِ الشيطانِ، وردِّهِ خاسئاً مُبْعَداً عنْ مراده وكملت صلاة ابنِ آدم، وامتثل أمرَ الله الذي عصى بهِ إبليسُ من امتناعهِ من السجودِ(٣).

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٤١٧) (١٥٢١)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٢) رواه مسلم (٥٧١).
(٣) السراج الوهاج (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).

الحِصْنُ الثَّامِنُ عَشَرَ: لُزُومُ الجَمَاعَةِ[1]

إنَّ الالتزامَ بالجماعةِ مطردةٌ للشيطانِ مرضاةٌ للرحمنِ.

عن عَرْفَجَةَ بنِ شُرَيْحٍ الأشجعيِّ رضي الله عنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: «**إنَّ الشَّيطانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الجماعةَ يركُضُ**»[2].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ. أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ. عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ. مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ**

---

(١) اعلم رحمك الله بأنَّه نُقِلَ عن الجمِّ الغفير والعدد الكثير من علماء الأمة، وأعيان الأئمة، مثل عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، ويزيد بن هارون، أنَّ الفرقة الناجية والطائفة المنصورة: هم أصحاب الحديثِ وأهل الآثارِ الذين نهجوا الدين القويم، وسلكوا الطريق المستقيم، فتمسكوا بالسبيل الأقوم، والمنهاج الأرشد، فشيَّدوا أعلامه، ونشروا أحكامه، ولمْ يخافوا في الله لومة لائم، وجعلوا المعقول تبعاً للمنقول في الشرائع والأحكام، والحلالِ والحرام. ولمزيد من التفصيل راجع كتاب «**شرف أصحاب الحديث**» للخطيب البَغدادي.

(٢) رواه النسائي (٤٠٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣٧٥٣).

سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ»[1].

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: «**الجماعةُ ما وافَق الحقَّ وإنْ كُنْتَ وَحْدَكَ**»[2].

وقال الترمذيُّ رحمه الله: «**وتفسيرُ الجماعةِ عندَ أهلِ العلمِ هم أهلُ الفقهِ والعلمِ والحديثِ**».

وقال أبو شامَةَ رحمه الله: «حيثُ جاءَ الأمرُ بلزوم الجماعةِ؛ فالمرادُ به لزومُ الحقِّ واتِّباعُه، وإنْ كان المتمسِّكُ به قليلاً، والمخالفُ له كثيراً؛ لأنَّ الحقَّ هو الذي كانت عليه الجماعةُ الأولى من عهدِ النبي ﷺ وأصحابِه، ولا نظرَ إلى كثرةِ أهلِ البِدَعِ بعدهُم»[3].

وإياك أن تَغْتَرَّ بما يَغْتَرُّ به الجاهلون. فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حقٍّ لم يكونوا أقلَّ الناس عدداً والناس على خلافهم.

فاعلم أنَّ هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبَّهون بالناس وليسوا بناس. فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عدداً...

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٧٥٨).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦٠)، وصحح إسناده المحدِّث الألباني رحمه الله في «مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٩ ـ ٢٠).

وقد ذمَّ سبحانه الأكثرين في غير موضع كقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]. وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤][(١)].

ولقدْ حرصَ الإسلامُ على الجماعةِ بأشكالها جميعاً لأنَّها مطردةٌ للشيطانِ.

أولاً: صلاةُ الجماعة:

عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْوٍ، لا تقامُ فيهمُ الصلاةُ، إلَّا قد اسْتَحْوَذَ عليهم الشيطانُ، فعليكمْ بالجماعةِ؛ فإنَّما يأكلُ الذئبُ القاصِيَةَ**»[(٢)].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «وفي الحديثِ دليلٌ على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ، ووجهُ الاستدلالِ منه أنَّه أخبرَ باستحواذِ الشيطانِ عليهمْ بتركِ الجماعةِ التي شعارها الأذانُ وإقامة الصَّلاةِ، ولوْ كانتْ الجماعةُ ندْباً يخيَّرُ الرجلُ بينَ فعلهَا وترْكِهَا، لما استحوذَ الشيطانُ على تاركِ شِعَارِهَا»[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧) [طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت].
(٢) رواه النسائي (٨٤٩)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٨١٧).
(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص١٥١) لابن قيم الجوزية [طبعة دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى].

وقال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: والحديثُ استدلَّ بهِ على وجوبِ الأذانِ والإقامةِ لأنَّ التركَ الذي هو نوعٌ من استحواذِ الشيطانِ يجب تجنُّبه[1].

ثانياً: الجماعةُ في السفر:

عن ابن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الراكبُ شيطانٌ، والراكبانِ شيطانانِ، والثلاثةُ رَكْبٌ**»[2].

هذا الحديثُ بوَّبَ عليه ابن خزيمة بقوله: بابُ النهيِّ عنْ سيرِ الاثنينِ والدليلُ على أنَّ ما دونَ الثلاث منَ المسافرينَ فهم عصاةٌ، إذ النبيُّ ﷺ قدْ أعلمَ أنَّ الواحدَ شيطانٌ، والإثنانِ شيطانانِ، ويشبهُ أنْ يكونَ معنى قوله شيطان: أي عاصٍ كقوله: شياطين الإنسِ والجنِّ ومعناهُ عصاةُ الجنِّ والإنسِ[3].

وقال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى أنَّ الجماعةَ ـ وأقلُّها ثلاثةٌ ـ لا يَهُمُّ بهمُ الشيطانُ، ويبعدُ عنهم ـ وإنَّما سمي الواحدُ شيطاناً، والاثنانِ شيطانانِ، لأنَّ الشيطانَ في أصل اللُّغَةِ، هو البعيدُ من الخيرِ، من قولهم: نوى شطونٌ، أي بائنةٌ بعيدةٌ، فالمسافر وحدهُ يبعُدُ عن خيرِ الرفيقِ وعونِهِ، والأُنْسِ بهِ،

---

(١) نيل الأوطار (٢/ ٣٨).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٧)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٧١).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٤/ ١٥١).

وتمريضِهِ، ودفعِ وسوسةِ النفسِ بحديثِهِ، ولا يُؤمَنُ على المسافر وحدَهُ أن يُضْطَرَّ إلى المشي بالليلِ، فتعترِضُهُ الشياطينُ المَرَدَةُ هازلينَ ومُتَلاعِبينَ ومُفزِعين.

وقد بلغنا ذلك عن جماعةِ المسافرينَ إذا سافروا منفردينَ، وكذلك الاثنان، لأنهُ إذا مرَّ أحدُهُمَا في حاجتهما، بقي الآخرُ وحدهُ، فإذا شَرَدَتْ دابتُهُ أو نَفَرَتْ، أو عَرَضَ لهُ في نفسهِ أو حالهِ شيءٌ، لم يَجِدْ من يُعِينُهُ، ولا مَنْ يَكْفِيهِ، ولا مَنْ يخبرُ عنه بما يطرقهُ، فكأنَّهُ قدْ سافرَ وحدَهُ، وإذا كانوا ثلاثةً، ارتفعتِ العلَّةُ المخوفَةُ في الأغلبِ، لأنَّهُ لا يخرجُ الواحدُ مرَّةً في الحاجة، ويبقى الاثنان، ثمَّ يخرجُ الآخرُ مرةً أخرى، ويبقى الاثنانِ، يكونُ هذا دأباً في الأغلب في أمورهم، وإنْ خرجَ الاثنانِ، لم يَطُلْ مكثُ الواحدِ وحدَهُ. هذا ونحوَهُ، والله أعلمُ بما أرادَ رسولُهُ بقولهِ ذلكَ ﷺ[1].

وقال المحدِّث الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولعلَّ الحديثَ أرادَ السفر في الصحاري والفلوات التي قلَّما يرى المسافرُ فيها أحداً من النَّاسِ، فلا يدخل فيها السفر اليوم في الطرق المعبدة الكثيرة المواصلات. والله أعلم[2].

ثالثاً: الاجتماعُ في المجلس:

عن جابرِ ابنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ،

---

(١) الاستذكار (٢٧/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٩٣).

فرآنا حِلَقاً، فقال: «**ما لي أراكُمْ عِزِيْنَ؟!**»[1].

قوله: «**عزين**» أي جماعاتٍ متفرِّقين حلقةً حلقةً. وهي جمع عزة، وهي الحلقةُ المجتمعةُ من النَّاس. والمعنى ما لي أراكم أشتاتاً متفرِّقين، وفي معناه قوله سبحانه: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧].

قوله: «**ما لي أراكم عزين**» إنكارٌ على رؤيته ﷺ إيَّاهم متفرِّقين أشتاتاً، والمقصودُ الإنكارُ عليهم كائنينَ على تلكَ الحالةِ، يعني لا ينبغي لكم أن تتفرَّقوا ولا تكونوا مجتمعين مع توصيتي إيَّاكم بذلك، وكيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣][2].

وعنْ أبي ثعْلبةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قال: كان النَّاسُ إذا نزلوا منزلاً، تفرَّقُوا في الشِّعابِ والأوديةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ تفرُّقَكُمْ في هذهِ الشِّعَابِ والأَوْدِيَةِ إنَّما ذلكمْ مِنَ الشَّيطانِ**» فلم ينزلْ بعدَ ذلكَ منزلاً إلّا انْضَمَّ بعضُهمْ إلى بعضٍ، حتى يقال: لو بُسِطَ عليهمْ ثوبٌ لَعَمَّهمْ[3].

قال العلامة الألبانيُّ رحمه الله: إذا كان مثل هذا التفرق الذي إنَّما هو في أمرٍ عادي من عملِ الشيطان، فما بالك في التفرُّق في الدين

---

(١) رواه مسلم (٤٣٠).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة (ص١١٤٣).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٨٨).

وفي أعظم أركانه العملية كالصَّلاةِ مثلاً . . . أفليسَ ذلكَ مِنَ الشَّيطانِ؟ بلى وربِّي ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمون: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧][1].

رابعاً: الاجتماعُ على الطعامِ:

عنْ وحشيٍّ ابنِ حَرْبٍ رضي الله عنه: أنَّ أصحابَ النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنَّا نأكلُ ولا نشبع. قال: «**فَلَعَلَّكُم تَفْتَرِقُون؟**» قالوا: نعم! قال: «**فاجْتَمِعُوا على طَعَامِكُم، واذْكُروا اسمَ اللهِ عليه، يُبَارَكْ لَكُم فيه**»[2].

قال العلامة العينيُّ رحمه الله: واستفيدَ من الحديث فائدتان:

الأولى: أنَّ منْ لا يشبع ينبغي أنْ يجتمعَ مع الجماعة ولا يفارقهم، فكأنَّ الحكمةَ في هذا أنَّ البركة تتفرَّق بتفرُّقِ الجماعة، فلا يحصل لهم الشبع، فعلمَ من هذا أنَّ التَّفرُّقَ على الطعامِ مكروهٌ.

والثانيةُ: التسميةُ حتى يباركَ لهم في طعامهم، فإنَّ البركةَ في اسم الله تعالى[3].

وقال العلامةُ الألبانيُّ رحمه الله: ومن المؤسف حقاً أنْ ترى كثيراً من المسلمينَ اليومَ وبخاصَّة أولئكَ الذين تأثروا بالعاداتِ

---

(١) جلباب المرأة المسلمة (ص٢١١).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٦٤)، وحسَّنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود (٣١٩٩).

(٣) العلم الهيِّب في شرح الكلم الطيب (ص٤٦٢).

الغربيةِ والتقاليدِ الأوروبية؛ قد تمكَّنَ الشيطانُ من سلبهِ قسماً من أموالهم ليس عدواناً بل بمحض اختيارهم، وما ذاكَ إلَّا لجهلهم بالسنَّةِ، أو إهمالاً منهم إيَّاها، ألستَ تراهم يتفرَّقونَ في طعامهم على موائدهم، وكلٌّ واحدٍ منهم يأكلُ لوحده ـ دون ضرورة ـ في صحنٍ خاص، لا يشاركهُ فيهِ على الأقل جارهُ بالجنبِ، خلافاً للحديث السابق[1].

الحِصْن التَّاسِعُ عَشَرَ: الإِشَارَةُ بالسَّبَّابَةِ في التَّشَهُّدِ

عن نافع قال: كان عبدُ الله بنُ عمر إذا جلس في الصلاة، وضع يدَيْه على ركبتَيْه، وأشارَ بأصبعِهِ، وأتبعها بصرَهُ، ثمَّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَهِيَ أَشَدُّ على الشَّيْطَانِ مِنَ الحَدِيدِ**». يعني السَّبَّابَةَ[2].

واعلمْ بأنَّ السُّنةَ في الإشارةِ تحريكُ السبابةِ في التَّشهد كلِّه، لحديث وائل بن حُجْر رضي الله عنه في صفةِ صلاةِ النبي ﷺ: «... ثمَّ قبضَ بين أصابعه، فحلَّق حلقةً، ثم رفعَ أصبعَهُ، فرأيته يحرِّكُهَا يدعُو بها، ثم جئتُ بعدَ ذلكَ في زمانِ بردٍ، فرأيتُ الناسَ عليهم الثياب تحرك أيديهم من تحت الثياب من البرد»[3].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١١٩) (٦٠٠٠)، وسنده حسن كما قال الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٦٧).

واعلم بأنَّ «تحريك الإصبع في التشهد لا ينافي الخشوع، بل هو من الخشوع، ولهذا عدَّهُ رسول الله ﷺ أشدَّ من المطارق على رأس كلِّ شيطانٍ مارق»[1].

الحِصْنُ العِشْرُونَ: الصَّلَاةُ إِلَى سُتْرَةٍ

عن سهل بن أبي حَثْمَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا صلَّى أحدُكم إلى سُترْةٍ فَلْيَدْنُ منها لا يَقْطَعُ عليه الشيطانُ صلاتَهُ**»[2].

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «لمَّا كانَ المصلِّي مشتغلاً بمناجاةِ اللهِ وهوَ في غايةِ القربِ منهُ والخلوةِ بهِ أمرَ المصلِّي بالاحترازِ من دخولِ الشَّيطانِ في هذهِ الخلوةِ الخاصَّةِ والقربِ الخاصِّ، ولذلكَ شرعت السُّتْرةُ في الصَّلاة خشيةً منْ دخولِ الشَّيطانِ وكونه وليجة في هذه الحالِ فيقطعُ بذلكَ مواد الأنسِ والقربِ؛ فإنَّ الشَّيطانَ رجيمٌ مطرودٌ مبعدٌ عَنِ الحضرةِ الإلهيةِ فإذا تخلَّلَ في محلِّ القربِ الخاصِّ للمصلِّي أوجبَ تخلله بعداً وقطعاً لمواد الرحمةِ والقربِ والأنسِ. فلهذا أمر ﷺ بالدنوِّ من السترة خشيةَ أنْ يقطعَ الشيطانُ عليهِ صلاتهُ»[3].

---

(١) الخشوع وأثره في بناء الأمة (ص٤٨)، تأليف: سليم بن عيد الهلالي.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٤٣).

(٣) فتح الباري (٤/ ١٣٥) لابن رجب رحمه الله.

ومِنَ الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ مقدارَ السُّترةِ المجزئة التي تسترُ المصلِّي، وتدفعُ عنهُ ضرر المارِّ، طولُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ.

عنْ طلحةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا وضعَ أحدُكم بينَ يدَيْهِ مثلَ مُؤَخِّرَةِ الرَّحْلِ**[1]**، فلْيُصَلِّ، ولا يبالِ مَنْ مرَّ وراءَ ذلكَ**»[2].

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: سئلَ رسولُ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ عنْ سُترةِ المصلِّي؟ فقال: «**كمُؤَخِّرَةِ الرَّحْلِ**»[3].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا قامَ أحدُكُمْ يصلِّي، فإنَّهُ يسترُهُ إذا كان بينَ يديهِ مثلُ آخرةِ الرَّحْلِ، فإذا لم يكُنْ بينَ يدَيْهِ مثلُ آخرَةِ الرَّحْلِ، فإنَّهُ يقطعُ صلاتَهُ الحمارُ والمرأةُ والكلبُ الأسودُ**»[4].

الحِصْن الحَادِي والعِشْرُونَ: دعاءُ اللهِ تعالى

عن أبي الأَزْهر الأنماريِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أخذَ مضجَعَهُ مِنَ الليلِ قالَ: «**بسم الله وضعتُ جنبي، اللهمَّ اغْفِرْ لي ذنبي واخْسِئْ شيطاني، وفُكَّ رِهَانِي، واجْعَلْنِي في النَّدِيِّ الأَعْلَى**»[5].

---

(١) العود الذي في آخر الرحل.
(٢) أخرجه مسلم (٤٩٩).
(٣) أخرجه مسلم (٥٠٠).
(٤) أخرجه مسلم (٥١٠).
(٥) رواه أبو داود (٥٠٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٢٦).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دَخَلَ أحدُكُم المسجدَ فليسلِّمْ على النبيِّ ﷺ وليقُلْ: اللهمَّ افتَحْ لي أبوابَ رحمتِكَ، وإذا خرجَ فليسلِّمْ على النبيِّ ﷺ وليقُلْ: اللهمَّ اعْصِمْني من الشَّيطانِ الرَّجِيمِ**»(١).

الحَصْن الثَّانِي والعِشْرُونَ: مُخَالفَةُ الشَّيْطَانِ

اعلم ـ بارك الله فيك ـ بأنَّ الله ﷻ يحبُّ منْ وَليِّهِ مخالفةَ عدوِّهِ، وإغاظتهُ... وهي غايةٌ محبوبةٌ للربِّ مطلوبةٌ له.

فمن تعبَّدَ لله بمخالفةِ عدوِّهِ، فقدْ أخذَ من الصِّديقيَّةِ بسهمٍ وافرٍ(٢).

فالسعيد من خالفَ الشيطان، والشقي من اتبعه. وإنَّ المؤمن الحق يرفض أنْ تكون له أيُّ صلةٍ مع الشيطان فهو يخالفه في الأمور التالية:

أولاً: العَجَلَةُ:

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**التَّأَنِّي مِنَ الله، والعَجَلَةُ مِنَ الشيطان**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٦٢٧).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٢٦) بتصرف يسير.

(٣) رواه أبو يعلى ٧/ ٢٤٧ (٤٢٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤) بسند حسن.

اعلم بأن العجلة من الشيطان، فهو الحامل عليها بوسوسته، لأنها تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك موقع في المعاطب.

قال ابنُ القيِّم: العجلةُ طلبُ أخذِ الشيءِ قبلَ وقتهِ، فهو لشدَّةِ حرصهِ عليهِ بمنزلةِ من يأخذ الثمرةَ قبلَ أوانِ إدْراكِهَا. ولهذا كانتْ العجلةُ مِنَ الشَّيطان؛ فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحِدةٌ في العبدِ تمنعهُ مِنَ التثبتِ والوقارِ والحلمِ، وتوجبُ له وضعَ الأشياءِ في غيرِ مواضعهَا، وتجلبُ عليهِ أنواعاً مِنَ الشُّرورِ، وتمنعهُ أنواعاً مِنَ الخيرِ؛ وهي قرينُ النَّدامةِ فقلَّ مَنِ استعجلَ إلا نَدِمَ. كمَا أنَّ الكسلَ قرينُ الفوتِ والإضاعةِ[1].

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: العجلةُ موكَّلٌ بها النَّدمُ، وما عَجِلَ أحدٌ إلَّا اكتسبَ ندامةً، واستفادَ مذمَّةً؛ لأنَّ الزَّللَ مَعَ العجلِ، والإقدامُ على العملِ بعدَ التَّأني فيهِ أحزمُ من الإمساكِ عنهُ بعدَ الإقدامِ عليهِ، ولا يكونُ العجولُ محموداً أبداً.

والعَجِلُ يقولُ قبلُ أنْ يعلمَ، ويجيبُ قبلَ أنْ يفهمَ، ويحمد قبلَ أنْ يجرِّبَ، ويذم بعد ما يحمد، ويعزمُ قبلَ أنْ يفكِّرَ، ويمضي قبلَ أنْ يعزمَ، والعَجِلُ تصحبهُ الندامة، وتعتزلهُ السلامة، وكانت العربُ تكني العجلة أمَّ النَّداماتِ[2].

---

(١) الروح (ص٣٤٨).

(٢) روضة العقلاء (ص٢١٦ ـ ٢١٧).

ورحم الله من قال: من تَعَجَّل حصولَ الشيء قبل أَوانِهِ عُوقِبَ بحُرْمَانِهِ.

وصدق القائل:

تَـأَنَّ في الأَمـرِ لَا تَـكُـنْ عجِلاً فَمَنْ تَـأَنَّى أَصَـابَ أَوْ كَـادَا[1]

وقال القائل:

قدْ يدركُ المتأني بعضَ حاجَتِهِ وقدْ يكونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وفي المثل السائر: إنْ لمْ تستعجِلْ تَصِلْ.

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: الواجبُ على العاقلِ لزومُ الرفقِ[2] في الأمورِ كلِّها، وتركُ العجلةِ والخفَّةِ فيها؛ إذ الله تعالى يحبُّ الرفقَ في الأمورِ كلِّها، ومنْ منعَ الرفقَ منعَ الخيرَ، كما أنَّ منْ أعطي الرفق أعطي الخيرَ، ولا يكاد المرء يتمكَّنُ في سلوكِ قصدهِ في شيءٍ من الأشياء على حسب الذي يحبُّ إلَّا بمقارنةِ الرفقِ ومفارقةِ العجلة[3].

وليتأمَّل القارئُ اللبيبُ الأحاديث التالية:

أ ـ عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأَشَجِّ عبد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/٤٦).

(٢) قال ابن القيم في الروح (ص٣١٠): «الرفق شيء والتواني والكسل شيء، فإنَّ المتواني يتثاقل عن مصلحته بعد إمكانها فيتقاعد عنها، والرفيق يتلطف في تحصيلها بحسب الإمكان مع المطاوعة».

(٣) روضة العقلاء (ص٢١٥).

القيس: «**إنَّ فيك لَخَصْلَتَيْنِ يحبُّهما اللهُ: الحِلْمَ والأَنَاةَ**»[1].

الأناة: هي التُّؤَدَةُ، والتأني، والتثبتُ، وتركُ العجلة، والنظرُ في المصالح.

وفي هذا الحديث «**مدحُ صِفَتَي الحِلْمِ والأَنَاةِ، وأنَّ الله يحبهما، وضدُّهما الطيشُ والعجلةُ، وهما خلقان مذمومان مفسدان للأخلاقِ والأعمالِ**»[2].

ب ـ عن سعدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**التُّؤَدَةُ في كلِّ شيءٍ، إلا في عَمَلِ الآخِرَةِ**»[3].

أي: التأني في كلِّ شيء من الأعمال مستحسن محمود إلَّا في عمل الآخرة فإنَّه غير محمود فيه؛ بل الحزم بذل الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات؛ لأنَّ في تأخير الخيرات آفات. **ومن أخَّر الفرصةَ عن وقتها فليكُنْ على يقين من فوتها.**

وهناك فرق بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات، وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم.

ج ـ عن عبدِ الله بن سَرْجِسَ المزنيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**السَّمْتُ الحسنُ، والتُّؤدَةُ، والاقْتصَادُ، جُزءٌ منْ**

---

(١) رواه مسلم (١٧ و١٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٨١٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٢٥).

أربعةٍ وعشرينَ جُزْءاً من النُّبُوَّة»[1].

قال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: **القصدُ** ها هنا: الاقتصادُ في النفقة.

وأمَّا التُّؤَدَةُ: التأنِّي والاستثباتُ في الأمرِ.

وأمَّا حسنُ السَّمْتِ: فالوقارُ والحياءُ، وسلوكُ طريقةِ الفضلاءِ[2].

فينبغي لكلِّ مسلم أنْ يكونَ رفيقاً في أموره وجميعِ أحوالهِ، غيرَ عجلٍ فيها، **فإنَّ العجلةَ مِنَ الشَّيطانِ، ولا تفارقَهُ الخيبةُ والخسرانُ**[3].

ثانياً: الجلوسُ بين الظل والشمس:

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُجْلَسَ بَيْنَ الضِّحِّ وَالظِّلِّ وَقَالَ: «**مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ**»[4].

الضِّح: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض؛ والمعنى: لا يجلس في مكان بحيث يكون نصفه في الشمس ونصفه في الظل.

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٠)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٣٥).

(٢) «الاستذكار» (٢٧/ ١١٢ ـ ١١٤).

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٥٧)، للإمام القرطبي.

(٤) رواه أحمد (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤) (١٥٤٦٢) وإسناده حسن.

ثالثاً: الأكلُ والشرب:

عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أكلَ أحدُكم فليَأْكُل بيمينِهِ، وإذا شربَ فليشرَبْ بيمينِهِ، فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشمالِهِ، ويشرب بشمالِهِ**»(١).

قال الصنعانيُّ رحمه الله: الحديثُ دليلٌ على تحريمِ الأكلِ والشربِ بالشمالِ، فإنَّه علَّله بأنهُ فعلُ الشيطانِ وخلقهُ، والمسلمُ مأمورٌ بتجنب طريقِ أهلِ الفسوقِ فضلاً عن الشَّيطانِ(٢).

رابعاً: الأخذُ والعطاءُ:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليأكُلْ أحدُكم بيمينِهِ، ويشربْ بيمينِهِ، وليأخُذْ بيمينِهِ، وليُعْطِ بيمينِهِ، فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشمالِهِ، ويشربُ بشمالِهِ، ويُعطي بشمالِهِ، ويأخُذُ بشمالِهِ**»(٣).

ومقتضى هذا تحريمُ الأكلِ بالشِّمالِ، وهوَ الصَّحيحُ، فإنَّ الآكلَ بها، إمَّا شيطانٌ، وإمَّا مشبَّهٌ بهِ. وفعلُ الشيطانِ يحرمُ على الإنسانِ.

وصحَّ عنه ﷺ أنَّهُ قالَ لرجلٍ أكلَ عندهُ، فأكلَ بشمالهِ:

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) سبل السلام (٤/ ١٥٩).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٢٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٦٤٣).

«**كُلْ بيمينِكَ**» فقال: لا أستطيعُ، فقال: «**لا استطَعْتَ**» فما رفع يده إلى فيه بعدها[1].

فلو كانَ ذلكَ جائزاً، لما دعا عليهِ بفعلهِ، وإنْ كان كِبْرُهُ حملهُ على تركِ امتثالِ الأمرِ، فذلكَ أبْلغُ في العصيانِ واستحقاقِ الدعاءِ عليهِ[2].

فمنْ أكلَ بشمالهِ أو شرب بشماله وهو عالم بالنَّهي، ولا عذرَ لهُ ولا علَّة تمنعهُ، فقدْ عصى الله ورسولَهُ، ومنْ يعصِ الله ورسولَهُ فقد غوى[3].

خامساً: الكِبْرُ[4]:

اعلم ـ عصمك الله من الشيطان ـ بأنَّ الكبر من صفات إبليس. قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٠٥).

(٣) سبل السلام (٣/ ١٥٩، ١٦٠).

(٤) قال الذهبي رحمه الله في «الكبائر» (ص٧٩): «**وأشرُّ الكبرِ منْ تكبَّرَ على العبادِ بعلمهِ، وتعاظمَ في نفسهِ بفضيلتهِ، فإنَّ هذا لمْ ينفعهُ علمه، فإنَّ منْ طلبَ العلمَ للآخرةِ كسرهُ علمهُ، وخشعَ قلبه، واستكانتْ نفسهُ، وكان على نفسهِ بالمرصاد، فلمْ يفتر عنها، بل يحاسبها كلَّ وقتٍ ويثقفها، فإنْ غفلَ عنها جمحت عن الطريقِ المستقيم وأهلكتهُ. ومنْ طلبَ العلمَ للفخرِ والرياسةِ، ونظرَ إلى المسلمين شزراً، وتحامقَ عليهم، وازدرى بهم؛ فهذا من أكبر الكبائر، ولا يدخل الجنَّةَ من في قلبهِ مثقال ذرة من كبر. فلا حول ولا قوة إلَّا بالله**».

يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ [الأعراف: ١٣].

ومخالفة الشيطان في هذه الصفة يكون بالتواضع. وهو على نوعين:

النوعُ الأول: تواضعُ العبدِ عندَ أمرِ الله امتثالاً وعندَ نهيهِ اجتناباً...

والنوعُ الثاني: تواضعهُ لعظمةِ الرَّبِّ وجلالهِ، وخضوعهُ لعزَّتهِ وكبريائهِ؛ فكلَّما شمختْ نفسهُ ذكرَ عظمةَ الرَّبِّ تعالى وتفرُّدهُ بذلكَ؛ وغضبَهُ الشَّديد على منْ نازعهُ ذلكَ فتواضعتْ إليه نفسهُ، وانكسرَ لعظمةِ الله قلبهُ؛ واطمأنَّ لهيبتهِ وأخبتَ لسلطانهِ، فهذا غايةُ التَّواضعِ وهوَ يستلزمُ الأوَّلَ منْ غيرِ عكسٍ؛ والمتواضعُ حقيقةً منْ رُزِقَ الأمرينِ، واللهُ المستعانُ[1].

والتواضع يتولَّدُ من بين العلمِ بالله سبحانه ومعرفةِ أسمائه وصفاتهِ ونعوتِ جلالهِ وتعظيمهِ ومحبته وإجلالهِ، ومنْ معرفتهِ بنفسهِ وتفاصيلها وعيوبِ عملها وآفاتها، فيتولَّدُ من بين ذلكَ كلِّه خُلقٌ هو التواضعُ: وهو انكسارُ القلبِ لله، وخفضُ جناحِ الذُّلِ والرَّحمةِ بعبادهِ، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقاً بلْ يرى الفضلَ للنَّاسِ عليهِ والحقوقَ لهم قبلَهُ، وهذا خُلُقٌ إنَّما يعطيهِ اللهُ ﷻ مَنْ يحبُّهُ ويكرمهُ ويقرِّبهُ[2].

---

(١) الروح (ص٣١٢).

(٢) الروح (ص٣١٣).

سادساً: الشيطانُ لا يَقِيلُ:

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**قِيْلُوا فإنَّ الشياطينَ لا تَقِيْلُ**»(١).

سابعاً: الشيطانُ يمشي في النعل الواحدة:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الشيطانَ يمشي في النَّعْلِ الوَاحِدَةِ**»(٢).

ثامناً: التبذيرُ والإسرافُ:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال له: «**فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامرأته، وَالثالث لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ**»(٣).

ومقصودُ هذا الحديث: أنَّ الرَّجل إذا أراد أنْ يتوسَّع في الفرشِ؛ فغايته ثلاثٌ، والرابع لا يحتاج إليه، فهو من بابِ السَّرف.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٣) (٢٨)، وأبو نعيم في «الطب» (١٢/ ١)، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٤٤٣١).

(٢) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٤٢)، وصححه المحدّث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٤٨).

(٣) رواه أبو داود (٤١٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٨٩).

وفقهُ هذا الحديث: تركُ الإكثارِ من الآلات والأمور المباحة، والترفه بها، وأن يقتصر على حاجته. ونسبة الرابع للشَّيطانِ ذمٌّ لهُ، لكن لا يدلُّ على تحريمِ اتخاذه[1].

الحِصْن الثَّالِثُ والعِشْرُونَ: التَّوْبَةُ والاسْتِغْفَارُ[2]

وممَّا يواجهُ بهِ العبدُ كيدَ الشيطانِ أنْ يسارعَ بالتوبةِ والأوبةِ إلى الله إذا أغواه الشَّيطانُ، وهذا دأبُ عبادِ الله الصالحينَ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

لمَّا كان العبدُ، لا بدَّ أن يغفلَ وينالَ منه الشيطانُ، الذي لا يزال مرابطاً، ينتظرُ غرتهُ وغفلتهُ، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأنَّ المتَّقي إذا أحسَّ بذنبٍ، ومسَّهُ طائفٌ من الشيطان، فأذنب بفعلِ محرَّمٍ أو تركِ واجبٍ تذكَّرَ منْ أيِّ بابٍ أُتِيَ، ومنْ أيِّ مدخلٍ دخلَ الشَّيطانُ عليه، وتذكَّرَ ما أوجبَ اللهُ عليهِ، فأبصرَ واستغفرَ الله تعالى، واستدركَ ما فَرَّطَ منهُ بالتوبةِ النَّصوحِ،

---

(١) المفهم (٥/ ٤٠٤).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص٦٥٠): «**إنَّه سبحانه جعله ـ أي الشيطان ـ عبرة لمن خالفَ أمره وتكبَّرَ عن طاعته، وأصرَّ على ذلك، كما جعلَ ذنب أبي البشر عبرةً لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره، ثمَّ تاب وندمَ ورجع إلى ربِّهِ، فابتلى أبوي الجنِّ والإنسِ بالذنبِ، وجعلَ هذا الأب عبرة لمن أصرَّ وأقامَ على ذنبهِ، وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربِّهِ، فللَّه كم في ضمنِ ذلك من الحكم الباهرة، والآياتِ الظاهرة**».

والحسناتِ الكثيرةِ، فردَّ شيطانهُ خاسئاً حسيراً، وقدْ أفسدَ عليهِ كلَّ ما أدركه منهُ[1].

وقدْ كانَ آدمُ أبو البشرِ ﷺ منْ أحلمِ الخلقِ، وأرجحهم عقلاً، وأثبتهم، ومع هذا، فلمْ يزلْ بهِ عدوُّ الله حتىَّ أوقعهُ فيما أوقعهُ فيهِ، فمَا الظنُّ بفراشةِ الحلمِ، ومَنْ عقلهُ في جنبِ عقلِ أبيهِ كتفْلَةٍ في بحرٍ؟!.

«وظنَّ عدوُّ الله بجهلهِ أنَّ الغلبَةَ والظَّفَرَ له في هذا الحرب. وظنَّ اللعينُ بجهلهِ أنَّ الله يتخلَّى عنْ صفيِّهِ وحبيبه الذي خلقهُ بيدهِ، ونفخَ فيهِ منْ روحهِ، وأسجدَ لهُ ملائكتهُ، وعلَّمَهُ أسْماءَ كلِّ شيءٍ، مِنْ أجلِ أكْلَةٍ أكلهَا.

ومَا عَلِمَ أنَّ الطبيبَ قدْ علَّمَ المريضَ الدَّواءَ قبلَ المرضِ، فلمَّا أحسَّ بالمرضِ بادرَ إلى استعمالِ الدَّواء، لمَّا رماهُ العدوُّ بسهمٍ وقعَ في غيرِ مقْتَلٍ فجرحهُ، فبادرَ إلى مُداواةِ الجُرْحِ، ووضعَ عليهِ جبارَ الانكسارِ فاعترف وتاب وندم، وتضرَّعَ واستكانَ فقامَ الجريحُ كأنْ لمْ يكنْ بهِ قَلَبَة[2]. فأزيلَ عنه العتْبُ، وغفرَ له الذَّنْبُ، وقُبِلَ منه المتابُ، وفتحَ لهُ من الرَّحمةِ والهدايةِ كلُّ بابٍ، ونحنُ الأبْناءُ، ومنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَمَ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٨٣).

(٢) أي: داءٌ وعلَّةٌ.

ومنْ كانتْ شِيمَتُهُ التوبةَ والاستغفارَ؛ فقدْ هديَ لأحْسَنِ الشِّيَمِ»[1].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ونحنُ بنوهما وحُلُومُنا ... في جنْبِ حِلْمِهما لدى الميزانِ
جُزْءٌ يسيرٌ والعَدُوُّ فواحِدٌ ... لهما وأعْدانا بلا حُسْبانِ
والضَّعْفُ مُسْتولٍ علينا من ... جميعِ جهاتنا سيما من الإيمانِ
يا ربِّ معذرةً إليك فلمْ يكنْ ... قصدُ العبادِ رُكوبَ ذا العصيانِ
لكنْ نفوسٌ سوَّلَتْهُ وغرَّها ... هذا العدُوُّ لها غُرُورَ أمانِ
فتيقَّنَتْ يا ربِّ أنَّك واسعُ ... الغفرانِ ذو فضلٍ وذو إحسانِ
ومقالُهُ ما قالهُ الأبوانِ قبلَ ... مقالةِ العبدِ الظَّلومِ الجاني
نحنُ الأُلى ظَلَمُوا وإنْ لمْ تغفرِ ... الذنبَ العظيمَ فنحنُ ذو خُسْرانِ
يا ربِّ فانْصُرْنا على الشَّيطانِ ... ليسَ لنا بهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدانِ[2]

واعلم بأنَّك إنْ تبتَ ثمَّ نقضتَ التَّوبةَ وعُدْتَ إلى الذنبِ ثانياً، فعدْ إلى التَّوبةِ مبادراً، وقلْ لنفسِكَ: لعلِّي أموتُ قبلَ أنْ أعودَ إلى الذَّنْبِ هذه المرَّةَ، وكذلك ثالثاً ورابعاً. وكما اتَّخذتَ الذَّنْبَ والعودَ إليهِ حِرْفَةً، فاتَّخذِ التَّوبةَ والعودَ إليها حرفةً؛ فلا تكنْ في التَّوبةِ أعْجَزَ منكَ في الذنبِ، ولا تيأسْ، ولا يَمْنَعْكَ الشيطان من التوبة بسببِ ذلكَ، أمَا تسمع قولَهُ ﷺ: «**ما منْ عبدٍ مؤمنٍ إلَّا**

---

(١) موارد الأمان (ص٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

ولهُ ذنْبٌ يعتادهُ الفينَةَ[1] بعدَ الفينةِ، أو ذنبٌ هو مقيمٌ عليهِ لا يفارقُهُ حتَّى يفارقَ الدُّنيا، إنَّ المؤمنَ خُلِقَ مُفْتَنّاً توَّاباً نَسَّاءً؛ إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ»[2].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قال: وعِزَّتِكَ يارَبِّ لا أبرحُ أُغوي عبادَكَ ما دامَتْ أرواحُهُمْ في أجسادِهِمْ.فقال الرَّبُّ: وعِزَّتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهمْ ما استغفروني**»[3].

وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ الاستغفارَ يدفعُ ما وقعَ من الذنوبِ بإغواءِ الشيطانِ وتزيينهِ، وأنَّها لا تزالُ المغفرةُ كائنةً لهم ما داموا يستغفرون[4].

واعلم بأنَّ «**المقصودَ منْ زللِ المؤمنِ ندمُهُ، ومنْ تفريطهِ أسفهُ، ومن اعوجاجهِ تقويمهُ، ومن تأخُّرِهِ تقديمهُ، ومنْ زَلَقِهِ في هُوَّةِ الهوى أنْ يؤخذَ بيده فيُنجَّى إلى نجوةِ النجاة**»[5].

---

(١) قال الأصبهانيُّ رحمه الله في «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦): «**الفينة بعد الفينة؛ أي الوقت بعدَ الوقت، والساعة بعدَ الساعة**».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٨١٠ و١٢٤٥٧) من حديث ابن عباس، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٢٧٦).

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٢٦١)، وحسنه المحدث الألباني لقاه الله رضوانَهُ وأسْكَنَهُ فسيحَ جنانهِ في «صحيح الجامع» (١٦٥٠).

(٤) تحفة الذاكرين (ص٢٥٥) للشوكاني رحمه الله.

(٥) لطائف المعارف (ص٥٨).

وينبغي أنْ تعلمَ بأنَّ «التوبةَ إنَّما هيَ عمليةٌ شاقَّةٌ بمجهودٍ كبيرٍ، ويقظةٍ تامَّةٍ للتخلُّصِ من العدو والرجوع والفرارِ إلى ربِّكَ الرحمن الرحيم، والعودُ من طريقِ الهلاكِ الذي أخذكَ عدُّوكَ إليهِ، ومعرفةِ مقدار الخطواتِ التي بعدتَ بها عنْ ربِّكَ، والمجهود والعقبات التي لا بدَّ من الحرصِ على اقتحامها للعودِ إلى صراطِ الله المستقيم»[1].

الحِصْن الرَّابعُ والعِشْرُونَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ

قال الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

في هذه الآية الكريمة «يأمرُ تباركَ وتعالى عبدَهُ ورسولَهُ ﷺ أنْ يأمرَ عبادَ الله المؤمنين أنْ يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلامَ الأحسنَ والكلمةَ الطَّيبةَ، فإنَّهم إنْ لمْ يفعلوا ذلكَ، نزغَ الشيطانُ بينهم، وأخرجَ الكلامَ إلى الفِعَالِ، وأوقعَ الشَّرَّ والمخاصَمَةَ والمقاتلةَ، فإنَّه عدوٌّ لآدمَ وذريتهِ من حين امتنعَ عن السُّجودِ لآدم، وعداوتهُ ظاهرةٌ بيِّنةٌ»[2].

فالشَّيطان ينزغ بين الأخوةِ بالكلمةِ الخشنةِ تفلت، وبالرَّدِّ السَّيِّئ يتلوها؛ فإذا جوُّ الأُخوةِ والمودَّةِ والمحبَّةِ والوفاقِ مشحونٌ

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص١٨٩) بتصرف يسير.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٥).

بالخلافِ، مشوبٌ بالجفوةِ، ثمَّ العداء، والشَّيطانُ يتلمس السَّقطاتِ منْ فمِ الإنسانِ، والعثراتِ منْ لسانِهِ؛ فيغري بها العداوةَ والبغضاءَ والشَّحناءَ بين المرءِ وأخيهِ.

والكلمةُ الطيبةُ تسدُّ على الشَّيطانِ تلكَ الثغراتِ، وتقطعُ عليه الطريقَ، وتحفظ حمى الأخوةِ آمناً منْ نزغاته وهمزاتهِ ونفثاتهِ.

وإذا انتقلَ بنا الحديثُ إلى السنةِ النبويةِ وجدنا الرسولَ ﷺ يسدُّ كلَّ ثغرةٍ يدخلُ منها الشَّيطانُ.

عن عديٍّ ابنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قال: ذَكَرَ النبيُّ ﷺ النارَ فتعوَّذَ منها وأشاح بوجهِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ قال: «**اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ فإن لم تَجِدُوا فبكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١).

ولا عجبَ أنْ ترقى الكلمةُ الطيبةُ إلى منزلةِ الصدقة حيث يقول الرسول ﷺ: «**والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(٢).

وهذا كلُّهُ إنَّما لسدِّ بابٍ عظيمٍ منْ أبوابِ الشَّيطانِ الرجيمِ ألا وهوَ التحريشُ بينَ المسلمينَ.

الحِصْن الخَامِسُ والعِشْرُونَ: الاعْتِصَامُ بِاللهِ

قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) قطعة من حديث: رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

أي: متى اعتصمتم به تولَّاكم، ونصركم على الشَّيطانِ، وهو العدوُّ الذي لا يفارقُ العبدَ، وعداوتُه أضرُّ من عداوة العدوِّ الخارج.

فالنَّصْرُ على هذا العدوِّ أهمُّ، والعبدُ إليه أحْوجُ، وكمالُ النُّصرةِ على العدوِّ بحسبِ كمالِ الاعتصامِ بالله، ونقْصُ هذا الاعتصامِ يؤدِّي إلى الانخلاعِ منْ عصْمةِ الله وهوَ حقيقةُ الخذلانِ. فما خلَّى اللهُ بينكَ وبينَ الشَّيطانِ إلَّا بعدَ أنْ خذلكَ، ولو عصَمَكَ ووفَّقكَ لما وجدَ الشَّيطانُ إليكَ سبيلاً.

فالعبد مطْروحٌ بين الله وبين عدوِّه إبْليس، فإنْ تولاه الله لمْ يظفرْ به عدوُّه، وإنْ خذله وأعْرضَ عنه افترسه الشيطانُ كما يفترس الذئبُ الشاةَ[1] إذا خلَّى الراعي بينهُ وبينها، فالشَّيطانُ ذئبُ الإنسانِ[2].

---

(١) قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الداء والدواء» (ص١٢٦): «**كما أنَّ الشاةَ التي لا حافِظَ لها وهي بينَ الذئابِ سريعةُ العَطَبِ، فكذا العبدُ إذا لم يكنْ عليه حافظٌ من اللهِ فذئبُهُ مُفْتَرسهُ ولا بُدَّ، وإنَّما يكونُ عليه حافظٌ مِنَ اللهِ بالتَّقوى؛ فهي وقايةٌ من الله وجُنَّةٌ حصينةٌ بينه وبينَ ذئبِهِ؛ كما هي وقايةٌ بينه وبينَ عقوبةِ الدنيا والآخرة، وكلَّما كانتِ الشاةُ أقربَ من الراعي كانت أسلمَ منَ الذئبِ، وكلَّما بَعُدَتْ عن الرَّاعي كانَتْ أقربَ إلى الهلاكِ؛ فأحمى ما تكونُ الشاةُ إذا قَرُبَتْ مِنَ الرَّاعِي، وإنما يأخذُ الذئبُ القاصيةَ مِنَ الغنمِ، وهي أبعدُ منَ الراعِي**».

(٢) قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائد» (ص١٢٧): «**تالله ما عدا عليك العدو إلَّا بعد أن تولَّى عنك الولي، فلا تظن أن الشيطان غلب، ولكن الحافظ أعرض**».

فإنْ قيل: فما ذنب الشاة، إذا خلَّى الراعي بين الذئب وبينها، وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه؟.

والجوابُ وبالله التوفيق: إنَّ الشَّيطانَ ذئبُ الإنسانِ، ولكنْ لم يجعلِ الله لهذا الذئبِ اللعينِ على هذهِ الشاةِ سلطاناً مَعَ ضَعفها، فإذا أعطتْ يدَهَا وسالمتِ الذئبَ، ودعاهَا فلَبَّتْ دعوتَه، وأجابتْ أمرَهُ، ولم تتخلَّفْ، بلْ أقبلتْ نحوَهُ سريعةً مطيعةً، وفارقت حمى الراعي الذي ليسَ للذئابِ عليهِ سبيلٌ، ودخلتْ في محلِّ الذئابِ الذي منْ دخلَهُ كانَ صيداً لهم، فهل الذنبُ كلُّ الذنبِ إلَّا على الشَّاةِ، فكيفَ والرَّاعي يحذِّرهَا، ويخوِّفهَا وينذرهَا، وقدْ أراها مصارعَ الشَّاةِ التي انفردتْ عَنِ الرَّاعي، ودخلتْ وادي الذئابِ...

وقدْ حذَّر الله سبحانه ابنَ آدم من ذئبه مرةً بعد مرةً، وهو يأبى إلَّا إنْ يستجيبَ لهُ إذا دعاهُ ويبيتُ معهُ ويصبح[1].

فأيُّ فلاحٍ وأيُّ رخاءٍ وأيُّ عيشٍ لمنْ قطع ما بينه وبين وليه ومولاه ـ الذي لا غنى له عنه طرفة عينٍ ـ ولا بدَّ له منه، ولا عوضَ له عنه، ووصل ما بينه وبين أعدى عدوٍّ له: فتولاه عدوُّه من كلِّ ناحيةٍ وتخلَّى عنه وليه. ومن تولَّاه عدوُّه واستولى عليه أناله وبالاً، ولم يدع أذًى يُمكِنُهُ من إيصاله إليه إلَّا أوصله.

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣١١ ـ ٣١٣) بتصرف يسير.

الحِصْنُ السَّادِس والعِشْرُونَ: تَحْقِيقِ العُبودِيَّةِ للهِ تَعَالَى

لمَّا علمَ عدوُّ الله إبْليس أنَّ المدارَ على القلبِ والاعتماد عليه، أجْلَبَ عليه بالوساوسِ، وأقْبَلَ بوجوه الشهواتِ إليه، وزيَّنَ له من الأحْوالِ والأعْمالِ ما يصدُّهُ به عن الطريقِ، وأمدَّه من أسْبابِ الغيِّ بما يقْطعُهُ عنْ أسْبابِ التوفيقِ، ونصبَ له من المصايدِ والحبائلِ ما إنْ سلِمَ من الوقوعِ فيها لمْ يسْلمْ منْ أنْ يَحْصُلَ لهُ التعويقُ، فلا نجاة من مصايدهِ ومكايدهِ إلَّا بدوامِ الاسْتعانةِ بالله تعالى، والتعرُّضِ لأسْبابِ مرْضاتهِ، والتجاءِ القلبِ إليهِ وإقْبالِهِ عليهِ في حركاتهِ وسكناته، والتحقُّقِ بذُلِّ العبوديّة الذي هو أولى ما تلبَّسَ به الإنسانُ ليَحْصُلَ له الدخولُ في ضمان ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فهذه الإضافةُ هي القاطعةُ بينَ العبدِ وبين الشيطان، وحصولها سببُ تحقيقِ مقام العبودية لربِّ العالمين، وإشْعارِ القلبِ إخْلاصَ العملِ، ودوامَ اليقينِ، فإذا أشْرِبَ القلبُ العبوديةَ والإخْلاصَ صار عندَ الله من المقرَّبين، وشَمَلَهُ اسْتثْناء: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠].

فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنَّه يعبد الشيطان بطاعته له، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠].

ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية

الرحمن، وهم الذين حققوا قول: «لا إله إلَّا الله» وأخلصوا في قولها، وصدَّقوا قولهم بفعلهم[1].

و«إنَّ تحقُّقَ القلبِ بمعنى «لا إله إلَّا الله» وصدقَهُ فيها، وإخلاصَهُ بها يقتضي أنْ يرسخَ فيه تألُّهُ الله وحدهُ، إجلالاً، وهيبةً، ومخافةً، ومحبّةً، ورجاءً، وتعظيماً، وتوكُّلاً، ويمتليءَ بذلكَ، وينتفيَ عنهُ تألُّهُ ما سواه مِنَ المخلوقينَ، ومتى كانَ كذلكَ، لمْ يبقَ فيهِ محبَّةٌ لغيرِ ما يحبُّهُ الله، ولا كراهةٌ لغيرِ ما يكرههُ الله، ولا طلبٌ لغيرِ ما يُريدُهُ الله ويحبُّهُ ويطلبهُ، وينتفي بذلك مِنَ القلبِ جميعُ أهواءِ النُّفوسِ وإراداتها، ووساوسُ الشَّيطانِ. ومنْ كانَ كذلكَ، لمْ تنبعثْ جوارحُهُ إلَّا بطاعةِ اللهِ.

وكلَّما حقَّق العبدُ الإخلاصَ في قولِ: لا إله إلَّا الله خرجَ منْ قلبهِ ما يهواهُ، وتُصْرفُ عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فعلَّل صرفَ السوءِ والفحشاءِ عنهُ بأنَّهُ منْ عبادِ الله المخلصين.

ومنْ لمْ يكنْ خالصاً لله، عبداً لهُ قدْ صارَ قلبه مُعَبَّداً لربه وحدهُ لاشريكَ لهُ، بحيثُ يكونُ الله أحبَّ إليهِ منْ كلِّ ما سواه، ويكونُ ذليلاً لهُ خاضعاً وإلَّا استعبدته الكائناتُ، واستولتْ على قلبهِ الشَّياطين، وكانَ مِنَ الغاوين إخوان الشَّياطين، وصارَ فيه مِنَ

(١) كلمة الاخلاص (ص٣٧)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

السُّوءِ والفحشاءِ ما لا يعلمهُ إلَّا الله، وهذا أمرٌ ضروريٌّ لا حيلةَ فيه؛ فالقلبُ إنْ لمْ يكنْ حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عمَّا سواه وإلَّا كان مشركاً[1].

وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ مُخْلِصَاً من قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

فإنَّ الإخلاص ينفي أسباب دخول النَّار؛ فمن دخل النَّار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرِّم له على النار؛ بل كان في قلبه نوعٌ من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار، «والشِّركُ في هذه الأمَّةِ أخفى منْ دبيبِ النَّملِ، وهذا مقامٌ ينبغي للمؤمنينَ التدبُّرُ فيهِ»[3].

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم فقال: «**يا أيُّها النّاسُ اتَّقُوا هذا الشِّرْكَ فإنَّه أخفى منْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فقال له منْ شاء الله أنْ يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى منْ دبيب النملِ يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: اللهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ منْ أنْ نُشْرِكَ بك شيئاً نَعْلَمُهُ، ونَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُهُ**»[4].

ولهذا كان العبد مأموراً في كلِّ صلاة أنْ يقول: ﴿إِيَّاكَ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٣٥٥).

(٣) الإستقامة (١/ ٣٤٤).

(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣) (١٩٦٦١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣).

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك، فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله، إمَّا خوفاً منه، وإمَّا رجاءً لهُ، فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخليصِ توحيدهِ من شوائبِ الشرك[1].

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا الشركُ الخفيُّ: فهو الذي لا يكادُ أحدٌ أنْ يسلمَ منهُ، مثل: أن يحب مع الله غيره. فإن كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين، والأعمال الصالحة فليست من هذا الباب، لأنَّ هذه تدل على حقيقة المحبة، لأنَّ حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه، ويكره ما يكرهه؛ ومن صحت محبته امتنعت مخالفته لأن المخالفة إنما تقع لنقص المتابعة، ويدل على نقص المحبة قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فليس الكلام في هذا؛ إنما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى، فهذا لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله، وهو دليلٌ على نقصِ محبةِ الله تعالى إذ لو كملتْ محبتهُ، لم يحب سواه. . .وكلّما قويت محبة العبد لمولاه، صغرت عنده المحبوبات وقلَّت، وكلَّما ضعفت، كثرت محبوباته وانتشرت.

وكذا الخوف والرجاء، وما أشبه ذلك، فإن كَمُلَ خوف العبد من ربه لم يخف شيئاً سواه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحـــزاب: ٣٩] وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف كما ذكرنا في المحبة، وكذا الرجاء وغيره. فهذا هو الشرك الخفي، الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه، إلا من عصمه الله تعالى.. وطريق التخلص من هذه الآفات كلها: الإخلاص لله ﷻ»[1].

الحِصْنُ السَّابعُ والعِشْرُونَ: اتِّبَاع الصِّراطِ المُسْتَقِيم

إنَّ اللهَ سبحانَه جعَلَ الشَّيطانَ عَدُوّاً للإنسانِ، يقعُدُ لهُ الصِّراطَ المستقيمَ، ويأْتيه مِن كلِّ جهةٍ وسبيلٍ، كما أخبرَ اللهُ تعالى عنهُ أنَّه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

وحَذَّرنا الله ﷻ مِن متابعتِه، وأمرَنا بمعاداتِه ومخالفتِه. وأخْبَرَنا بما صنعَ بأبَوَيْنا تحذيراً لنا من طاعته، وقطعاً للعُذْرِ في متابعتِه، وأمَرَنا اللهُ ﷻ باتِّباعِ صِراطِه المستقيم، ونهانا عن اتِّباعِ السُّبُل، فقال سبحانَه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وسَبيلُ اللهِ وصرطُهُ المستقيمُ[2]: هو الذي كانَ عليهِ

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٩٣ ـ ٩٤):

(٢) قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢٨): «**صراط الله** =

رسولُ الله ﷺ وصحابتُه؛ بدليلِ قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فمَن اتَّبَعَ رسولَ اللهِ ﷺ في قولِه وفِعْلِه؛ فهو على صِراطِ اللهِ المستقيمِ وهو ممَّنْ يُحِبُّهُ اللهُ ويَغْفِرُ لهُ ذنوبَهُ، ومَن خالَفَهُ في قولِه أو فعلِهِ فهو مبتَدِعٌ متَّبِعٌ لسبيلِ الشَّيطانِ، غيرُ داخلٍ فيمَن وَعَدَ اللهُ بالجنَّةِ والمغفِرَةِ والإحسانِ(١).

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً عند النبيِّ ﷺ، فخطَّ خطّاً هكذا أمامه فقال: «**هذا سبيلُ اللهِ** ﷻ»، وخطَّ خَطاً عنْ يمينه، وخطَّ خطاً عنْ شماله، وقال: «**هذه سُبُلُ الشَّيطانِ**»، ثمَّ وضع يده في الخطِّ الأوسط، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

قال شيخُ الاسلام: «وإذا تأمَّل العاقل ـ الذي يرجو لقاء الله ـ هذا المثال، وتأمَّل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، ومن أقرب منهم إلى السُّنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم، وأن كلًّا منهم له سبيل

= **المستقيم: طريق أهل السنة والجماعة، وما خالفَ ذلكَ سبل الشيطان»**.

(١) ذم الوسواس (ص٤٦ ـ ٤٨) لابن قدامة المقدسي رحمه الله.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة» (ص١٢).

يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدَّعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم، الذي لا يتكلم عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

والعجب أنَّ مِنْ هؤلاء من يصرِّح بأن عقله إذا عارضه الحديث ـ لاسيما في أخبار الصفات ـ حمل الحديث على عقله وصرَّح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزاناً للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرَّحاً بتقديمه في الشريعة المحمدية، فيكون من السبيل المأمور باتباعه، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

الحِصْن الثَّامِنُ والعِشْرونَ: الصِّيامُ

اعلم رحمك الله بأنَّ «فضولَ الطَّعامِ داعٍ إلى أنواعٍ كثيرةٍ مِنَ الشَّرِّ فإنَّهُ يُحَرِّكُ الجوارحَ إلى المعاصي، ويثقِلُها عَنِ الطَّاعات وحسبُك بهذين شرّاً، فكمْ مِنْ مَعصيةٍ جلبهَا الشَّبعُ وفضولُ الطَّعام، وكمْ منْ طاعةٍ حالَ دونها. فمنْ وُقِيَ شرَّ بطْنِهِ فَقَدْ وُقِيَ شرّاً عظيماً، والشَّيطانُ أعظمُ ما يتحكَّمُ مِنَ الإنسانِ إذا ملأَ بطنهُ مِنَ الطَّعامِ، ولهذا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحَالةَ: فثلثٌ لطعامهِ، وثلثٌ لشرابهِ، وثلثٌ لنَفَسِهِ**»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٣٩).

ولو لمْ يكنْ في الامتلاءِ مِنَ الطَّعامِ إلا أنَّهُ يدعو إلى الغفلةِ عنْ ذكرِ الله ﷻ، وإذا غَفَلَ القلبُ عَنِ الذِّكرِ ساعةً واحدةً جثمَ عليهِ الشَّيطانُ ووعدَهُ ومنَّاهُ وشهَّاهُ، وهامَ بهِ في كلِّ وادٍ، فإنَّ النَّفسَ إذا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وجالتْ وطافتْ على أبوابِ الشَّهَوَاتِ[1]، وإذا جاعتْ سكنتْ وخشعتْ وذلَّتْ[2].

وقدْ ثبتَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**إنَّ الشَّيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدم**»[3] ولا ريبَ أنَّ الدَّمَ يتولَّدُ مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ، وإذا أكلَ أو شربَ اتسعت مجاري الشَّياطين، ولهذا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إذا دخلَ رمضانُ فُتِّحَتْ أبوابُ الجَنَّةِ وغُلِّقَتْ أبوابُ جَهَنَّمَ وسُلْسِلَتِ الشياطينُ**»[4]، فإنَّ مجاري الشَّياطين الذي هو الدم ضاقت، وإذا ضاقت انبعثت القلوبُ إلى فعلِ الخيراتِ التي بها تفتحُ أبوابُ الجنَّةِ وإلى تركِ المنكراتِ التي بها تفتحُ أبوابُ النَّارِ، وصفِّدت الشَّياطين فضعفتْ قوتهم وعملهم بتصفيدهم فلم يستطيعوا أنْ يفعلوا في شهرِ رمضانَ ما كانوا يفعلونهُ في غيرهِ، ولم يقلْ إنهم قتلوا ولا ماتوا، بل قال: «**صُفِّدت**» والمصفَّدُ مِنَ الشَّياطينِ قدْ يؤذي، لكن هذا أقلُّ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» (ص٢٨٢): «**الشهوة مثل النَّارِ إذا أضْرمها صاحبها بدأتْ بإحْراقهِ**».

(٢) بدائع الفوائد (٢/٤٩٨) [طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى].

(٣) رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

(٤) رواه البخاري (٣٢٧٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٧٩).

وأضعفُ ممَّا يكونُ في غيرِ رمضانَ، فهوَ بحسبِ كمالِ الصَّومِ ونقصهِ. فمنْ كانَ صومهُ كاملاً دفعَ الشَّيطانَ دفعاً لا يدفعهُ دفعُ الصَّومِ النَّاقصِ[1].

الحِصْن التَّاسِعُ والعِشْرُونَ: التَّعَرُّفُ عَلَى مَصائِدِ الشَّيطانِ

اعلمْ رحمكَ الله بأنَّ «الإنسانَ لا يلقي نفسَهُ في هَلَكَةٍ إذا كانَ عقلُهُ معهُ، ولا يعرِّضهَا لتلفٍ إلَّا إذا كانَ جاهلاً بذلكَ، لا علمَ لهُ بهِ، فهوَ كمنْ يأكلُ طعاماً مسموماً، فالعالمُ بالسُّمِّ وضررِهِ يمتنعُ منْ أكلِهِ، والجاهلُ بهِ يقتلُهُ جهلُهُ.

وكذا العالمُ بمخاوفِ طريقِ سلوكِهِ ومعاطبهَا يأخذُ حِذْرَهُ منهَا فيحرسُهُ علمهُ مِنَ الهلاكِ. وهكذا العالمُ بخطرِ الشَّيطانِ ومكائدِهِ ومداخلِهِ على العبدِ[2] يوجبُ لهُ التيقُّظَ والتحرُّزَ منْ مصائدِ عدوِّهِ ومَكامنهِ، ومنْ أينَ يدخلُ عليهِ، ومنْ أينَ يخرجُ عليهِ، وفي أيِّ وقتٍ يخرجُ، فهوَ قَدِ استعدَّ لهُ وتأهَّبَ، وعرَفَ بماذا يستدْفعُ شرَّه وكيدَهُ.

فالمحترزُ مِنَ الشَّيطانِ «بمنزلةِ رجلٍ قدْ خرجَ بمالهِ ومركوبهِ مسافراً فهوَ يحترزُ بجهدهِ منْ كلِّ قاطعٍ للطَّريقِ وكلِّ مكانٍ يتوقعُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٤٦).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤١٦) بتصرف يسير.

منهُ الشَّرُّ، وكذلكَ يكونُ مع التأهب والاستعداد وأخذ الأسباب التي بها ينجو من المكروه، فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذي قدْ تأهب للقاء عدوِّه وأعدَّ له عدته، فهمَّته في تهيئةِ أسبابِ النجاةِ ومحاربةِ عدوهِ»[1].

فكيف يمكنُ أنْ يحترزَ منهُ منْ لا علمَ لهُ بعدوِّه ولا بما يحصِّنُهُ منه؟ فإنَّهُ لا ينجو منْ عدوِّه إلَّا منْ عرَفَ طريقهُ التي يأتيه منها وجيشَه الذي يستعينُ بهِ عليهِ، وعرَفَ مداخلَهُ ومخارجَهُ، وكيفيَّةَ محاربتهِ، وبأيِّ شيءٍ يحاربهُ، وبماذا يُداوي جراحتَهُ، وبأيِّ شيءٍ يستمدُّ القوَّةَ لقتالهِ ودفعهِ؟!.

فالجاهلُ في غفلةٍ وعمىً عنْ هذا الأمرِ العظيمِ والخَطْبِ الجسيم[2]. يدخلُ عليهِ العدوُّ، فيجوسُ خلالَ الديَّارِ، ويتبِّرُ ما علا تَتْبيراً.

الحِصْنُ الثَّلاثُونَ: الحَيَاءُ

اعلم رحمك الله بأنَّ «خلقَ الحياءِ هو منْ أفضلِ الأخلاقِ وأجلِّها، وأعظمها قدْراً، وأكثرها نفعاً، بل هو خاصَّةُ الإنسانيةِ، فمنْ لا حياءَ فيهِ ليسَ معهُ منَ الإنسانيةِ إلا اللحم والدم وصورتُهما الظاهرة، كما أنَّهُ ليسَ معهُ من الخيرِ شيء[3].

---

(١) الروح (ص٣١٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٧٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٧).

والحياءُ منَ اللهِ تعالى سلاحٌ مهمٌ منْ أسلحةِ المؤمنِ في حربهِ مع الشيطان، وأهميةُ هذا السِّلاحِ تَكْمُنُ في أنَّ الحياءَ هوَ الحائلُ بينَ الإقدامِ على المعصيةِ والإمساكِ عنها، وأنَّهُ كالسَّدِّ إذا تحطَّم انهمرَ الماءُ يغرقُ كلَّ شيءٍ، فالذي لا حياءَ لهُ لا سدَّ عندهُ، فهذا لا يمنعهُ مانعٌ مِنَ الإقدامِ على المعصيةِ ليفعلهَا ولا يرى بها بأساً.

عنْ أبي مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ ممَّا أدْرَكَ النَّاسُ منْ كلامِ النبوَّة الأولى**[1] **إذا لمْ تَسْتَحِ فاصْنعْ ما شِئْتَ**»[2].

والمعنى: أنّ الرَّادِعَ عن القبيحِ إنَّما هو الحياءُ، فمنْ لمْ يَسْتَحِ فإنَّهُ يصنعُ ما شاء.

ذلك «أنَّ للإنسانِ آمرينِ وزاجرينِ: آمرٌ وزاجرٌ منْ جهةِ الحياءِ فإذا أطاعَهُ امتنع منْ فعلِ كلِّ ما يشتهي، ولهُ آمرٌ وزاجرٌ من جهة الهوى والطَّبيعةِ، فمنْ لمْ يُطع آمرَ الحياءِ وزاجرَهُ أطاعَ آمرَ الهوى والشهوةِ ولا بُدَّ»[3].

---

(١) قال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ١٠٢): «ومعنى قوله «**النبوة الأولى**»: **أنَّ الحياءَ لمْ يزلْ أمْرُهُ ثابتاً، واستعماله واجباً منذ زمانِ النبوة الأولى، وأنَّهُ ما منْ نبيٍّ إلَّا وقدْ ندبَ إلى الحياءِ، وبعث عليه، وأنَّهُ لمْ ينسخْ فيما نسخ من شرائعهم، ولمْ يبدَّلْ فيما بُدِّلَ منها؛ وذلكَ أنَّهُ أمرٌ قدْ علمَ صوابُهُ، وبانَ فضْلُهُ، واتفقت العقولُ على حسنهِ، وما كانَ هذا صفتهُ لمْ يجزْ عليه النسخ والتبديل**».

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٣ و٣٤٨٤ و٦١٢٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٨ـ٢٣٩).

وصدق القائل:

حياءُ المرءِ يزجرُهُ فيخشى ... فَخَفْ من لا يكونُ له حياءُ
فقد قال الرسولُ بأن مِمّا ... به نطقَ الكرامُ الأنبياءُ
إذا ما أنتَ لم تَسْتَحْيِ فاصنَعْ ... كما تختارُ وافْعَلْ ما تَشَاءُ[1]

وقال القائلُ:

ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني ... وبينَ رُكوبِها إلا الحياءُ
فكانَ هو الدّواءَ لها ولكن ... إذا ذهَبَ الحياءُ فلا دواءُ[2]

ولله درُّ القائل:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ... ولم تستَحْيِ فاصنَعْ ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما اسْتَحْيَى بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بقيَ اللِّحاءُ

وقال أبو دلف العجليُّ:

إذا لم تصُن عرْضاً ولم تخشَ خالقًا ... وتستَحْيِي مخلوقًا فما شئتَ فاصنَعِ[3]

ويتولد الحياء من «المعرفة بعظمة الله وجلالهِ وقدرتهِ، لأنَّهُ إذا ثبت تعظيمُ الله في قلبِ العبدِ أورثهُ الحياء من الله والهيبة له، فغلب على قلبه ذكرُ اطلاع الله العظيم إلى ما في قلبهِ وجوارحهِ، وذكرُ المقامَ غداً بين يديه، وسؤاله إيَّاه عنْ جميعِ أعمالِ قلبهِ

---

(١) نفح الطيب (٣/ ٢٦٩).
(٢) روضة العقلاء (ص٥٨).
(٣) فتح البر (٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

وجوارحه، وذكرُ دوام إحسانه إليهِ، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلبَ ذكرُ هذهِ الأمورِ على قلبهِ، هاجَ منهُ الحياءُ مِنَ الله، فاستحيى مِنَ الله أنْ يطَّلِعَ على قلبه، وهو معتقدٌ لشيءٍ مما يكرهُ، أو على جارحةٍ من جوارحهِ، يتحرَّكُ بما يكرهُ، فطهَّرَ قلبَهُ منْ كلِّ معصيةٍ، ومنعَ جوارحَهُ منْ جميعِ معاصيه...»[1].

عن سعيدٍ ابنِ يزيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أوصني، قال: «**أُوصيكَ أن تَسْتَحِيَ من الله عز وجل كما تَسْتَحِي رجلاً من صالِحِي قَومِكَ**»[2].

فقل لنفسك: لوكان رجلٌ من صالحي قومي يراني، أو يسمع كلامي، لاستحيتُ منه، فكيف لا أستحي من ربي تبارك وتعالى، ثمَّ لا آمن تعجيلَ عقوبته وكشفَ ستره؟!.

فإنَّ منْ علِمَ أنَّ الله يراهُ حيثُ كان، وأنّه مطَّلِعٌ على باطنِهِ وظاهِرِهِ وسرِّهِ وعلانيتِهِ، واسْتحضرَ ذلكَ في خلواتِهِ، أوجبَ له ذلكَ ترْكَ المعاصي في السرِّ.

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظلمةٍ ... والنفسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ

فاسْتَحِي من نظرِ الإلهِ وقُلْ لها ... إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يَرَانِي[3]

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٥٤١).

(٣) نونية القحطاني (ص٩٠).

وكان ابن السَّماك ينشد:

يا مُدْمِنَ الذَّنبِ أما تَسْتَحي والله في الخلوةِ ثانيكَا
غَرَّكَ من ربِّكَ إمهالُهُ وسَتْرُهُ طولَ مَساويكَا

الحِصْنُ الوَاحِدُ والثَّلَاثُونَ: الأَذَانُ والإِقَامَةُ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا نُودِيَ بالصلاة، أدْبَرَ الشيطانُ وله ضراطٌ، فإذا قُضِيَ أقْبَلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أدْبرَ، فإذا قضيَ أقْبَلَ، حتى يخْطر بين الإنْسانِ وقلبِهِ، فيقول: اذْكر كذا، وكذا، حتى لا يدْري أثلاثاً صلى أمْ أربعاً، فإذا لمْ يَدْرِ ثلاثاً صلى أو أرْبعاً، سجد سجدتي السهو**»(١).

قال ابنُ عبد البر رحمه الله: فقول رسول الله ﷺ في هذا الحديث: «**إذا نوديَ للصلاة**» يريد إذا أذَّنَ لها، فرَّ الشَّيطانُ منْ ذكرِ الله في الأذان، وأدبرَ ولهُ ضراط منْ شدَّةِ ما لحقَهُ مِنَ الخزي والذعرِ عندَ ذكرِ الله، وذكرُ الله في الأذانِ تفزعُ منهُ القلوبُ ما لا تفزعُ منْ شيءٍ مِنَ الذِّكر، لما فيهِ مِنَ الجهرِ بالذكرِ، وتعظيم الله فيه، وإقامة دينه، فيدبرُ الشَّيطانُ، لشدَّةِ ذلكَ على قلبهِ حتَّى لا يسمع النداء. فإذا قضيَ النداءُ، أقبل على طبعهِ وحيلته، يوسوسُ في الصدورِ، ويفعل ما يقدر مما قد سلطَ عليه، حتى إذا ثوب بالصلاة ـ والتثويب ههنا: الإقامة ـ أدبر أيضاً،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨، ١٢٢٢، ١٢٣١، ٣٢٨٥)، ومسلم (٣٨٩).

حتى إذا قضي التثويب، أقبل حتى يخطِر بين المرء ونفسه؛ فيوسوسُ في صدرهِ، ويشغلهُ بذكرِ ما لا يحتاجُ إليهِ، ليخلِّطَ عليهِ حتَّى لا يدري كمْ صلَّى؟ أجارنَا الله منهُ.

وفي هذا الحديثِ فضلٌ للأذانِ عظيمٌ، ألا ترى أنَّ الشيطان يدبرُ منهُ، ولا يدبرُ منْ تلاوةِ القرآنِ في الصَّلاةِ. وحسبكَ بهذا فضلاً لمنْ تدَّبرَ[1].

وقال العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**له ضراطٌ**» هذا تمثيلٌ لحالِ الشيطانِ عندَ هروبهِ منْ سماعِ الأذانِ بحالِ منْ طرقهُ أمرٌ عظيمٌ واعتراهُ خطبٌ جسيمٌ حتى لم يزل يحصل له الضراط من شدة ما هو فيه، لأن الواقع في شدة عظيمة من خوف وغيره تسترخي مفاصله ولا يقدر على أن يملك نفسه فينفتح منه مخرج البول والغائط. ولمَّا كان الشيطان ـ لعنه الله ـ يعتريه شدة عظيمة، وداهية جسيمة عند النداء إلى الصلاة، فيهرب حتى لا يسمع الأذان، شبَّه حاله بحال ذلك الرجل، وأثبت له على وجه الادعاء الضراط الذي ينشأُ من كمال الخوف الشديد[2].

الحِصْنُ الثَّانِي والثَّلاثونَ: مُخَالَفَةُ الهَوَى

اعلم ـ غفر الله ذنبك وطهَّر قلبك وحصَّن فرجك ـ بأنَّ

(١) انظر الاستذكار (٤/ ٥٠ ـ ٥١)، والتمهيد (١٨/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨).
(٢) عمدة القاري (٤/ ٢٧٣).

«الشَّيطانَ ليسَ لهُ مدخلٌ عَلَى ابنِ آدمَ إلَّا منْ بابِ هواه، فإنَّهُ يُطِيفُ بهِ منْ أينَ يدخلُ عليهِ حتَّى يفسدَ عليه قلبهُ وأعمالهُ، فلا يجد عليه مدخلاً ولا إليه طريقاً إلَّا من هواه، فيسري معه سريَان السمِّ في الأعضاء»[1].

فعلى العبدِ أنْ «**يحاربَ الشَّيطانَ بترك الاستجابةِ لداعي الهوى، فإنَّ الشيطان مع الهوى لا يفارقهُ، ويحاربُ الهوى بتحكيم الأمرِ المطلقِ، والوقوفِ معه، بحيث لا يبقى له هوىً فيما يفْعلُهُ ويتْرُكُهُ**»[2].

وليسَ المرادُ أن لا يكونَ له هوىً، بَلِ المرادُ أنْ يصرِفَ هواه إلى ماينفعهُ، ويستعملهُ في تنفيذِ مرادِ الربِّ تعالى؛ فإنَّ ذلكَ يدفعُ عنهُ شرَّ استعمالهِ في معاصيهِ؛ فإنَّ كلَّ شيءٍ مِنَ الإنسانِ يستعملهُ لله؛ فإنَّ الله يقيهِ شرَّ استعمالهِ لنفسهِ وللشَّيطانِ، وما لا يستعمله لله استعملهُ لنفسهِ وهواه ولا بدَّ، فالعلمُ إنْ لم يكن لله كان للنَّفسِ والهوى، والعملُ إنْ لمْ يكنْ لله كانَ للرياءِ والنِّفاقِ، والمالُ إنْ لمْ يُنْفَقْ في طاعةِ الله أُنفقَ في طاعةِ الشَّيطانِ والهوى، والجاهُ إنْ لمْ يستعملْهُ صاحبهُ في أمرِ الله استعملهُ في هواه وحظوظهِ، والقوَّةُ إنْ لمْ يستعملْهَا في أمر الله استعملته في معصيته. فمنْ عوَّد نفسَهُ العملَ لله لم يكنْ عليهِ أشق من العمل لغيره، ومنْ عوَّد نفسهُ العمل لهواه وحظِّهِ لم يكنْ عليه أشقُّ مِنَ

---

(١) روضة المحبين (ص٤٧٢).

(٢) تهذيب المدارج (ص٩١٠).

الإخلاصِ والعملِ لله. وهذا في جميعِ أبوابِ الأعمالِ، فليسَ شيءٌ أشقَّ على المنفقِ لله مِنَ الإنفاقِ لغيره، وكذا بالعكس[1].

وإنَّما تُطاقُ مخالفةُ الهوى بالرَّغبةِ في الله وثوابِهِ، والخشيةِ منْ حجابِهِ وعذابِهِ.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

والذي يخاف مقام ربِّهِ لا يقدمُ على معصيةٍ، فإذا أقدمَ عليها بحكمِ ضعفهِ البشريِّ، قادهُ خوفُ هذا المقامِ إلى النَّدمِ والاستغفارِ والتَّوبةِ فظلَّ في دائرةِ الطَّاعةِ.

ونهيُ النَّفسِ عَنِ الهوى هو نقطةُ الارتكازِ في دائرةِ الطَّاعةِ، فالهوى هو الدافعُ لكلِّ طغيانٍ، وكلِّ تجاوزٍ، وكلِّ معصيةٍ، وهو أساسُ البلوى وينبوع الشرِّ، وقلَّ أنْ يؤتى إنسانٌ إلَّا مِنْ قِبَلِ الهوى، فالجهلُ سهلٌ علاجهُ، ولكن الهوى بعد العلمِ هو آفة النفسِ التي تحتاجُ إلى جهادٍ شاقٍ طويلِ الأمدِ لعلاجهَا.

والخوفُ مِنَ الله هو الحاجزُ الصَّلبُ أمامَ دفعاتِ الهوى العنيفةِ، وقلَّ أنْ يثبتَ غيرُ هذا الحاجز أمامَ دفعاتِ الهوى، ومنْ ثمَّ يجمعُ بينهما الله ﷻ في آيةٍ واحدةٍ، فالذي يتحدَّثُ هنا هو خالقُ هذه النَّفسِ، العليمُ بدائها، الخبيرُ بدوائها، وهو وحدهُ الذي يعلمُ أينَ تكمنُ أهواؤها وأدْواؤها.

---

(١) عدة الصابرين (ص٨٢).

والله ﷻ كلَّفَ الإنسانَ أنْ ينهى نفسَهُ عَنِ الهوى ويمسكَ بزمامهَا، وأنْ يستعينَ في هذا بالخوفِ، الخوفُ منْ مقامِ ربِّهِ الجليلِ العظيم، وكتبَ لهُ بهذا الجهادِ الشَّاق الجنَّةَ مثابةً ومأوى ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤١] ذلك أنَّ الله ﷻ يعلمُ ضخامةَ هذا الجهادِ، وقيمتَهُ في تهذيبِ النَّفسِ البشريةِ وتقويمَها ورفعهَا إلى المقامِ الأسنى.

وصدق القائل:

حجبَ التُّقى سُبُلَ الهوى فأخو التُّقى ... يَخْشَى إذا وَافَى المَعَادَ هَوَانا

وقال القائل:

لا خيرَ فيمَنْ لا يراقبُ ربَّهُ ... عند الهَوَى ويخافُهُ إِيمانَا

الحِصْنُ الثَّالثُ والثَّلاثُونَ: تَحْصِينُ البَيْتِ

أولاً: ذكرُ الله عند الدخول:

عَنْ جَابِرِ ابنِ عبدِ الله رضي الله عنه أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاء**»[1].

قوله: «**لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ**»: المخاطبُ به أعوانهُ أي:

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

لا حظَّ لكم ولا فرصةَ لكم الليلةَ منْ أهلِ هذا البيتِ؛ فإنهم قد أحرزوا عنكم طعامهم وأنفسهم. وتحقيقُ ذلكَ أنَّ انتهازَ الشيطانِ فرصةً من الإنسانِ، إنِّما تكونُ حالَ الغفلةِ ونسيانِ الذكرِ، فإذا كان الرجلُ متيقظاً محتاطاً متذكِّراً لله في جملةِ حالاتهِ، لم يتمكَّن الشيطانُ منْ إغوائهِ وتسويلهِ وأيسَ عنه بالكليَّة[1].

ثانياً: التسليمُ على الأهل:

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا بُنَيَّ إذا دَخَلْتَ على أهلك، فسلِّم يكُنْ بركةً عليك وعلى أهل بيتك**»[2].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ كُلهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ عز وجل: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ عز وجل**»[3].

قال النَّوويُّ رحمه الله: «ومعنى ضامنٌ على الله تعالى أي:

---

(١) شرح الطيبي (٩/ ٢٨٣٨ ـ ٢٨٣٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢١٧١).

(٣) رواه أبو داود (٢٤٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٧٨).

صاحب ضمان، والضَّمان: الرِّعاية للشَّيء، كما يقال: تامرٌ، ولابنٌ، أي: صاحب تمر ولبن. فمعناهُ: أنَّهُ في رعاية الله تعالى، وما أجزل هذهِ العطِّية، اللَّهمَّ ارزقناها»[1].

ثالثاً: كثرةُ تلاوة القرآن في البيت:

إنَّ تلاوة القرآن بخشوع في البيت تجعل الملائكة تدنو منه وتطرد منه الشياطين.

عن أُسَيْدٍ ابنِ حُضَيْرٍ قال: بينما هو يقرأ من الليل سورةَ البقرة وفرسه مَربوط عنده إذ جالتِ الفرس، فسكت فسكنَتْ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالتِ الفَرس فانصرفَ، وكان ابنُه يحيى قريباً منها فأشفق أن تُصيبه، فلما اجْتَرَّهُ رفع رأسه إلى السماء حتَّى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ فقال له: «**اقْرَأْ يا ابنَ حُضَيرٍ، اقْرَأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ**»، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرَفعتُ رأسي فانصرَفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السَّماء، فإذا مثلُ الظلة فيها أمثالُ المصابيح، فخرجتُ حتى لا أراها، قال: «**وتَدْرِي ما ذاكَ؟**» قال: لا، قال: «**تِلْكَ الملائكةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، ولوْ قَرَأْتَ لأصبحَتْ يَنْظُرُ الناسُ إليها، لا تَتَوارَى منهم**»[2].

---

(١) الأذكار (ص٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦).

رابعاً: تطهيرُ البيت من صوت إبليس:

قال الله ﷻ للشيطان وحزبه: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٣].

فالصوت الشيطاني يستفِزُّ بني آدم، وصوت الشيطان كلُّ صوتٍ في غير طاعةِ الله، نسب إلى الشيطانِ لأمرهِ بهِ ورضاه به، وإلَّا فليس هو الصوت نفسه، فصوت الغناء وصوتُ النَّوْحِ وصوت المعازف من الشباباتِ وغيرها، كلّها من أصواتِ الشيطانِ التي يستفزُّ بها بني آدم فيستخِفُّهمْ ويزعجُهم.

ولهذا قال السلف في هذه الآية: «**إنَّهُ الغناء**»، ولا ريبَ أنه من أعظم أصوات الشيطان التي يستفزُّ بها النفوس ويزعجها ويقلقها، وهو ضد القرآن الذي تطمئن به القلوب وتسكن وتُخْبِتُ إلى ربِّها، فصوت القرآن يُسَكِّنُ النفوس ويطمْئِنُها ويوقرها، وصوت الغناء يستفِزُّها ويزعجها ويهيِّجها...

فلو لم يكنْ دليلٌ على أنَّ صوت الغناء والمعازف هو صوت الشيطان[1]؛ لِمَا يستفِزُّ به السامع ويقلقه به ويزعجه ويزل طمأنينته، لكفى به دليلاً[2].

وليتدبر القاريء اللبيب الأحاديث والآثار التالية:

---

(١) ورحم الله من قال:

ويا أذني إنْ دعاكِ الهَوَى فإيَّاكِ إيَّاكِ أنْ تسمَعِي

(٢) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء (ص٢٤٨) لابن القيم رحمه الله.

١ ـ عن السائبِ بنِ يزيدٍ رضي الله عنه: أنَّ امرأةً جاءتْ إلى النبي ﷺ فقال: «**يا عائشةُ أتعرفينَ هذه؟**» قالت: لا يا نبيَّ الله. **قال**: «**هذه قَيْنَةُ بني فلانٍ ـ مغنية ـ تحبينَ أنْ تُغَنِّيَكِ؟**»[(١)] **قالت: نعمْ. فأعْطاها طبقاً فغنَّتْها، قال النبي ﷺ: «قدْ نفخَ الشيطانُ في مَنْخِريهَا»**[(٢)].

٢ ـ عن عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه قال: أخذ النبيُّ ﷺ بيدي، فانطلقت معه إلى إبراهيم ابنه، وهو يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ في حجره حتى خرجت نفسه، قال: فوضعه وبكى. فقلت: تبكي يارسول الله، وأنت تنهى عن البكاء؟ قال: «**إني لم أَنْهَ عن البُكَاءِ، ولكني نَهَيْتُ عن صوتَيْنِ أحمَقَينِ فاجِرَيْنِ: صوتٍ عند نغمةٍ لهوٍ ولعبٍ ومزاميرِ الشَّيطانِ، وصوتٍ عند مُصيبةٍ لَطْمِ وجوهٍ، وشقِّ جُيوبٍ...**»[(٣)].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: أرادَ بالصوتِ الأوَّلِ، ما يُحْدِثُهُ الطَّربُ واللَّذَّةُ من الغناء وتوابعِهِ.

وبالصوتِ الثاني: ما يحدِثُهُ الحزن والمصيبةُ من النياحة والدعاء بالويلِ وتوابعِ ذلكَ.

---

(١) وعن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع عبد الله بن عمر إلى السوق، فمرَّ على جارية صغيرةٍ تغني فقال: «**إنّ الشيطان لو ترك أحداً لترك هذه**» رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٤)، وهو في «صحيح الأدب المفرد» (٦٠٢).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٤٩) (١٥٧٦٢) بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي (١٠٠٥)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٨٠٤).

ولهذا شرع الله سبحانهُ لعبادهِ عند هذين الواردينِ ما يحفظُ بهِ العبدُ قلبهُ وإيمانهُ ودينهُ أنْ يسْتَلِبَهُ الشيطانُ ويستفزَّهُ، فشرعَ لهمْ عند المصيبةِ الصبْرَ والاسترجاعَ، وعندَ النِّعْمَةِ سجودَ الشكرِ، والتواضعَ لله وحمدَهُ، وشكرهُ، فبذلكَ تدومُ النعمةُ، كما أنَّ بالصبر والاسترجاعِ تندفعُ المصيبةُ عن القلبِ، أو تخِفُّ؛ فعارضَ الشيطانُ وحزبهُ أمرَ الله، وشرعوا عند المصيبةِ والنِّعْمَةِ الصوتينِ الأحمقينِ الفاجرينِ، صوتَ النَّدْبِ والنِّياحةِ والدعاء بالويلِ والعويلِ وتوابعِ ذلك[1]، وصوتَ الغناءِ والمزاميرِ وآلاتِ اللهو وتوابع ذلك[2].

فكيفَ يستجيزُ العارفُ إباحةَ ما نهى عنه رسول الله ﷺ، وسمَّاهُ صوتاً أحْمَقَ فاجراً، وجعلهُ والنياحةَ التي لعنَ فاعلها أخوينِ؟ وأخرجَ النَّهيَ عنهما مخرجاً واحداً، ووصفهما بالحُمْقِ والفجورِ وصفاً واحداً[3].

---

(١) كما يفعل الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً.
وليتأمَّلوا الحديث التالي:
عنْ عبيد بن عمير قال: قالت أمُّ سَلَمةَ ـ لمَّا مات أبو سلمة ـ: غريبٌ وفي أرضِ غُرْبَةٍ؛ لأبْكِيَنَّهُ بُكاءً يُتَحَدَّثُ عنه. فكنتُ قدْ تَهيَّأتُ للبكاءِ عليهِ. إذْ أقْبلت امرأةٌ من الصَّعيدِ تريدُ أنْ تُسْعِدني. فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: «**أتُريدينَ أنْ تدْخِلي الشَّيطانَ بيتاً أخرجهُ اللهُ منهُ؟**» مرَّتين. فكففتُ عن البكاءِ فلمْ أبكِ. رواه مسلم (٩٢٢).

(٢) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء (ص٦٣ ـ ٦٤) لابن قيم الجوزية [طبعة مكتبة السنة ـ القاهرة].

(٣) موارد الأمان (ص٣٢٤).

٣ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ: مزمارٌ عند نعمةٍ، ورَنَّةٌ عند مصيبة**»(١).

قال شيخُ الاسلام رحمه الله: هذا الحديثُ منْ أجودِ ما يحتجُّ بهِ على تحريمِ الغناءِ.. فنهى عن الصوتِ الذي يُفعلُ عندَ النعمةِ، كما نهى عن الصوتِ الذي يُفعلُ عندَ المصيبة. والصوتُ الذي عندَ النعمةِ هو صوتُ الغناءِ(٢).

٤ ـ عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليكونَنَّ من أمتي أقوامٌ يستحلِّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ...**»(٣).

قال ابنُ القيِّم: ووجهُ الدِّلالةِ منهُ أنَّ المعازفَ هي آلاتُ اللهوِ كلّها، لا خلافَ بينَ أهلِ اللغةِ في ذلك، ولوكانتْ حلالاً لما ذمَّهمْ على استحلالها، ولما قَرنَ استحلالها باستحلالِ الخمر والحِرَ(٤).

٥ ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا**

---

(١) رواه البزار (٧٩٥ ـ كشف الأستار)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ١٨٨ ـ ١٨٩) (٢٢٠١)، وحسنه المحدّث الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٨٠١).

(٢) الإستقامة (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٣) رواه البخاري (٥٥٩٠) معلقاً بصيغة الجزم، ووصله أبو داود (٤٠٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٠٧).

(٤) موارد الأمان (ص٣٣٠).

تبيعوا القَيناتِ، ولا تشْتروهُنَّ، ولا تُعَلِّموهُنَّ، ولا خيرَ في تجارةٍ فيهنَّ، وثَمَنُهُنَّ حرامٌ، وفي مثلِ هذا أنزلتْ هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦]»[(١)].

٦ ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ حرَّمَ عليَّ الخمرَ، والميسرَ، والكُوبَةَ**» قال سفيان: فسألتُ علي بن بذيمة عن الكوبةِ؟ قال: الطَّبلُ[(٢)].

٧ ـ عنْ عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من راكبٍ يَخْلُو في مسيرهِ باللهِ وذِكرِهِ إلَّا رَدِفَهُ مَلَكٌ، ولا يَخْلُو بشِعْرٍ ونَحْوِهِ إلَّا رَدِفَهُ شيطانٌ**»[(٣)].

٨ ـ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّهُ سئلَ عن هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦]؟ فقال: «**هو الغناءُ، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاثَ مرَّاتٍ**»[(٤)].

٩ ـ قال الشعبي رحمه الله: «**إنَّ الغناءَ ينبت النفاق في القلب**

---

(١) رواه الترمذي (٣١٩٥)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣١٤٣).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٨٩٥)، وحسَّنه المنذري في «الترغيب» (٤/ ٧٣) [طبعة دار إحياء التراث العربي].

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٤١١)، والبيهقي (١٠/ ٢٢٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

كما ينبت الماء الزرع، وإنَّ الذكرَ ينبتُ الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع»[1].

١٠ ـ قال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا ندخل وليمةً فيها طبلٌ ولا معزافٌ**»[2].

١١ ـ قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الغناءُ ينبتُ النِّفاقَ في القَلبِ**»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنْ قيل: فما وجْهُ إنْباته للنفاقِ في القلبِ من بين سائر المعاصي؟.

قيل: هذا من أدلِّ شيءٍ على فقهِ الصحابة في أحوالِ القلوبِ، وأعمالها، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها، وأنَّهم هم أطبَّاء القلوبِ، دونَ المنحرفين عن طريقتهم، الذين داوَوْا أمراضَ القلوبِ بأعظمِ أدوائها، فكانوا كالمداوي من السَّقم بالسُّمِّ القاتلِ.

وهكذا ـ والله ـ فعلوا بكثيرٍ من الأدويةِ التي ركَّبوها، أو بأكْثرها، فاتَّفقَ قِلَّةُ الأطباءِ، وكثرةُ المرضى، وحدوثُ أمْراضٍ

---

(١) رواه الإمام المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٩١)، وجوَّد إسناده العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحريم آلات الطرب» (ص١٣).

(٢) رواه أبو الحسن الحربي في «الفوائد المنتقاة» (٤/٣/١) بسند صحيح عنه كما في «آداب الزفاف» (ص١٦٥ ـ ١٦٦) [طبعة دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الثالثة].

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٢٣) بسندٍ صحيح.

مُزْمِنَةٍ لمْ تكنْ في السَّلفِ، والعدولُ عن الدواء النَّافعِ، الذي ركَّبهُ الشارعُ، وميلُ المريضِ إلى ما يقوِّي مادَّةَ المرضِ، فاشتَدَّ البلاءُ، وتفاقمَ الأمرُ، وامتلأتِ الدُّورُ والطُّرقاتُ والأسواقُ من المرضى، وقامَ كُلُّ جهولٍ يُطَبِّبُ النَّاسَ.

فاعْلمْ أنَّ للغناءِ خواصَّ لها تأثيرٌ في صَبْغِ القلبِ بالنِّفاقِ، ونباتهِ فيهِ كنباتِ الزَّرْعِ بالماءِ.

فمن خواصِّهِ: أنَّهُ يُلْهي القلبَ عنْ فهمِ القرآنِ وتَدَبُّرِهِ، والعملِ بما فيه؛ فإنَّ القرآنَ والغناءَ لا يجتمعانِ في القلبِ أبداً[1]؛ لما بينهما من التَّضادِّ؛ فإنَّ القرآنَ ينهى عن اتِّباعِ الهوى، ويأمرُ بالعفَّةِ، ومجانبةِ شهواتِ النفوسِ، وأسبابِ الغَيِّ، وينهى عن اتِّباعِ خطواتِ الشيطانِ، والغناءُ يأمرُ بضدِّ ذلك كلِّهِ، ويحَسِّنُهُ، ويُهَيِّجُ النُّفوسَ إلى شهواتِ الغَيِّ، فيثيرُ كامِنَها، ويزْعِجُ قاطِنَهَا، ويُحرِّكُها إلى كلِّ قبيحٍ، ويسوقها إلى وصْلِ كلِّ مليحةٍ ومليح...

وسرُّ المسالة أنَّ أساسَ النِّفاقِ أنْ يُخالفَ الظَّاهرُ الباطنَ، وصاحبُ الغناء بين أمرينِ:

إمَّا أنْ يتهتَّكَ فيكونَ فاجراً، أو يُظهرَ النُّسُكَ فيكونَ منافقاً. فإنَّهُ يُظْهِرُ الرَّغْبَةَ في اللهِ والدَّارِ الآخرةِ وقلبهُ يغْلي بالشَّهواتِ،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «النونية» (٢/ ٣٧٠):

حبُّ الكتابِ وحُبُّ ألْحانِ الغنا ... في قلبِ عَبْدٍ ليسَ يجتمعانِ

ومحبَّةِ ما يكْرَههُ اللهُ ورسولهُ من أصواتِ المعازفِ، وآلاتِ اللَّهوِ وما يدْعو إليهِ الغناءُ ويُهَيِّجُهُ، فقلبهُ بذلكَ معمورٌ، وهو من محبَّةِ ما يحبُّهُ الله ورسولهُ وكراهةِ ما يكرههُ قَفْرٌ. وهذا محْضُ النِّفاقِ.

وأيضاً؛ فإنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، قولٌ بالحقِّ، وعملٌ بالطَّاعةِ، وهذا يَنْبُتُ على الذِّكْرِ وتلاوةِ القرآنِ[1]، والنِّفاقُ قولُ الباطلِ، وعملُ البَغْيِ، وهذا ينبتُ على الغناء.

وأيضاً؛ فمن علاماتِ النِّفاقِ: قِلَّةُ ذكرِ اللهِ، والكسلُ عندَ القيامِ إلى الصَّلاةِ، ونَقْرُ الصَّلاةِ، وقلَّ أنْ تجدَ مفتوناً بالغناءِ إلَّا وهذا وصْفُهُ.

وأيضاً؛ فإنَّ النِّفاقَ مؤسَّسٌ على الكذبِ، والغناءُ منْ أكذبِ الشِّعْرِ، فإنَّهُ يُحَسِّنُ القبيحَ، ويزيِّنُهُ، ويأمرُ بهِ، ويُقَبِّحُ الحسنَ، ويزهِّدُ فيهِ، وذلكَ عينُ النِّفاقِ.

---

(١) قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» (ص٢٤٩): «فتبارك من جعل كلامه شفاءً لصدور المؤمنين، وحياةً لقلوبهم، ونوراً لبصائرهم وغذاءً لقلوبهم، وقرةً لعيونهم، وفتح به منهم أعْيُناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً، وأمطرَ على قلوبهم سحائب دِيَمةٍ فاهتزَّتْ وربتْ وأنبتتْ منْ كلِّ زوجٍ بهيج، فأشرقت به الوجوه، واستنارت به القلوب، وانقادت به الجوارح إلى طاعتهِ ومحبته، فصبغ القلوب به معرفةً وإيماناً، وملأها حكمةً وإيقاناً ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨]، لا كصبغةِ السماعِ التي تملأ القلوب هوىً وشهوةً وظُلْمةً وشرْكاً، وتُعَوِّرُ بصيرةَ القلبِ وتطمسُ نورهُ وتُنَكِّسُهُ وتُخَنِّثُ عزمه».

وأيضاً؛ فإنَّ النِّفاقَ غِشٌّ ومَكْرٌ وخداعٌ، والغناءُ مؤسَّسٌ على ذلك.

كتبَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى مؤدِّبِ ولدِهِ: «**لِيَكُنْ أوَّلَ ما يعتقدون منْ أدبكَ بُغْضُ المَلاهي، التي بَدْؤُها من الشيطانِ، وعاقبتها سَخَطُ الرحمنِ؛ فإنَّهُ بلغني عنِ الثِّقاتِ منْ أهْلِ العلمِ أنَّ صوتَ المعازفِ، واسْتِماعَ الأغاني، واللَّهْجَ بها، ينْبِتُ النِّفاقَ في القلبِ كما يَنْبُتُ العشْبُ على الماء**»[1].

فالغناءُ يُفْسِدُ القلبَ، وإذا فسدَ القلبُ؛ هاجَ فيهِ النِّفاقُ.

وبالجملةِ، فإذا تأمَّلَ البصيرُ حالَ أهْلِ الغناءِ، وحالَ أهْلِ الذِّكْرِ والقرآنِ، تبيَّنَ لهُ حِذْقُ الصَّحابةِ ومعْرِفَتُهمْ بأدْواءِ القلوبِ وأدْويتِها[2].

خامساً: تطهيرُ البيت من الأجراس:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الجرسُ مزاميرُ الشَّيطانِ**»[3].

ولمَّا كانتْ الشياطين تصحب الجرس تخلَّتْ الملائكةُ عن الرفقةِ التي معها جرس.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تَصْحَبُ**

---

(١) رواه الآجُرِّي في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (٦٢) بسندٍ حسن.

(٢) موارد الأمان (ص٣٢٠ ـ ٣٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢١١٤).

الملائكةُ رُفْقَةً فيها كلبٌ ولا جرسٌ»[1].

واعلمْ أنَّ الملائكةَ جندُ الرحمن وهم دائماً في حربٍ مع جندِ الشيطانِ فإذا تخلَّتْ عنهم جنودُ الرحمن استحوذتْ عليهم جنودُ الشَّيطان.

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**لا تدخُلُ الملائكةُ بيتاً فيه جرسٌ**»[2].

قال العلامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقدْ أحدثتْ في هذا العصر أجراس متنوعة لأغراضٍ مختلفة نافعة، كجرس ساعة المنبه الذي يوقظ من النوم، وجرس الهاتف (التلفون) وجرس دوائر الحكومة، والدور، ونحو ذلك، فهل يدخل هذا في الأحاديث المذكورة وما في معناها؟ وجوابي: لا، وذلك لأنَّهُ لا يشبه الناقوس لا في صوته ولا في صورته. والله أعلم.

وهذا بخلاف أجراسِ بعضِ الساعاتِ الكبار التي تعلَّق على الجدرانِ، فإنَّ صوتها يشبهُ صوت الناقوسِ تماماً، ولذلك فهذا النَّوع من الساعات لا ينبغي للمسلمِ أنْ يُدْخِلَها إلى داره، ولا سيما أنَّ بعضها تعزف ما يشبه الموسيقى قبيل أنْ يدق جرسها! مثل ساعة لندن التي تسمع من إذاعتها والمعروفة باسم (بك بن).

---

(١) رواه مسلم (٢١١٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٣١)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٥٦٠).

وممَّا يؤسَفُ لهُ أنَّ هذا النوعَ مِنَ السَّاعاتِ قد أخذَ يغزو المسلمينَ حتى في مساجدهم، بسببِ جهلهم بشريعتهم! وكثيراً ما سمعنا الإمامَ يقرأُ في الصَّلاةِ بعضَ الآياتِ التي تندد بالشِّركِ والتثليثِ، والنَّاقوسُ يدق منْ فوقِ رأسهِ منادياً ومذكراً بالتثليث! والإمامُ وجماعتهُ في غفلتهم ساهون[1].

سادساً: تطهيرُ البيت من التصاوير والتماثيل:

يجبُ على المسلمِ أن يطهِّرَ بيتهُ مِنَ التماثيلِ والصُّورِ إلا مَا وردَ فيهِ الاستثناءُ، كلعَبِ البناتِ، والصُّورِ التي لا روحَ فيهَا كالأشجارِ والأنهارِ والزروعِ والجماداتِ وغيرهَا. وما كان لضرورةٍ كصورةِ البطاقةِ والأوراقِ الرسمية. وذلكَ لأنَّ الملائكةَ لا تدخلُ بيتاً فيه تصاوير ولا تماثيل، وإذا خرجتِ الملائكةُ مِنَ البيتِ عَشْعَشَتْ فيهِ الشَّياطينُ.

وليتَأمَّل القاريءُ اللَّبيبُ الأحاديثَ التاليةَ:

١ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنها اشترت نُمرُقةً[2] فيها تصاوير. فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل. فعرفتُ في وجهه الكراهيَةَ، فقلت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ. ماذا أذنبت؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما بالُ هذه النُّمْرُقَةِ؟**» فقالت: اشتريتها لك تقعد عليها وتَوَسَّدُها. فقال

(١) جلباب المرأة المسلمة (ص١٦٩) [طبعة دار ابن حزم ـ الطبعة الثالثة].

(٢) هي الوسادة، كما في «النهاية» (٥/ ١١٧)، و«لسان العرب» (١٠/ ٣٦١).

رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أصحابَ هذه الصُّوَرِ يعذَّبون يومَ القيامة، ويقال لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُم. إنَّ البيتَ الذي فيه الصُّورُ لا تدخلُهُ الملائكةُ**»[1].

قال الحافظ رحمه الله: وفيه أنَّ الملائكةَ لا تدْخلُ بيتاً فيه الصور، وهذه الجملة هي المطابقة لامتناعه من الدخول، وإنَّما قدَّمَ الجملةَ الأولى (يعني: إنَّ أصحابَ هذه الصور..) عليها اهتماماً بالزجرِ عن اتخاذِ الصور، لأنَّ الوعيدَ إذا حصلَ لصانعها فهو حاصلٌ لمستعملها، لأنَّها لا تصنعُ إلَّا لتستعمل، فالصانعُ متسبب، والمستعملُ مباشرٌ، فيكون أولى بالوعيد[2].

٢ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه تماثيلُ أو تصاويرُ**»[3].

٣ ـ عن سعيد بن أبي الحسن قال: كنت عند ابن عباس: إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس إني رجل إنما معيشتى من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «**مَنْ صوَّرَ صُورةً، فإن اللهَ مُعَذِّبُهُ حتى يَنْفُخَ فيها الروحَ وليس بنافخٍ فيها أبداً**» فربا الرجل ربوة شديدة، فقال ابن عباس: «وَيْحَكَ إنْ

---

(١) رواه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧).
(٢) فتح الباري.
(٣) رواه مسلم (٢١٠٦).

أَبَيْتَ إلا أن تصنعَ، فعليك بالشجر، وكل شيء ليس فيه روحٌ»[1].

٤ ـ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «**نهى رسولُ الله ﷺ عن الصورة في البيت، ونهى أن يُصْنَعَ ذلك**»[2].

٥ ـ عن أبي طلحةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كلبٌ ولا صورةٌ**»[3].

٦ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ عليه السلام فقال: أتيتُك البارحةَ، فلم يمنَعْني أن أكونَ دخلتُ، إلا أنه كان على البابِ تماثيلُ. وكان في البيت قِرامُ سِتْرٍ فيه تماثيلُ، وكانَ في البيتِ كلبٌ، فمُرْ برأسِ التمثالِ الذي في البيتِ، يقطعُ فيصيرَ كهيئةِ الشَّجرةِ، ومُرْ بالسِّتْرِ فليقطَعْ، فليجعَلْ منه وسَادَتَيْن منبوذتَيْنِ تُوْطآن، ومُرْ بالكلبِ فلْيُخْرَجْ**»[4].

فقه الحديث:

الأولُ: تحريمُ الصُّورِ، لأنها سببٌ لمنعِ دخولِ الملائكةِ. . .

الثاني: أنَّ التَّحريمَ يشملُ الصُّورَ التي ليستْ مجسمةً ولا

---

(١) رواه مسلم (٢١٠٦).

(٢) رواه الترمذي (١٧٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٤٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٢)، ومسلم (٢١٠٦).

(٤) رواه أبو داود (٤١٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٥٠٤).

ظلَّ لها لعمومِ قولِ جبريل عليه السلام: «**فإنا لا ندخلُ بيتاً فيه تماثيل**»، وهي الصُّورُ، ويؤيده أنَّ التماثيلَ التي كانتْ على القرام لا ظلَّ لها، ولا فرقَ في ذلكَ بينَ مَا كانَ منها تطريزاً على الثوبِ أو كتابةً على الورقِ، أو رسماً بالآلةِ الفوتوغرافية إذ كل ذلك صور وتصوير، والتفريق بين التصوير اليدوي والتصوير الفوتوغرافي ـ فَيُحَرِّم الأول دون الثاني ـ ظاهرية عصرية، وجمود لا يحمد...

الثالث: أنَّ التَّحريمَ يشملُ الصُّورةَ التي توطأ أيضاً إذا تُرِكَتْ على حالهَا ولم تُغَيَّرْ بالقطعِ.

الرابعُ: أنَّ قوله: «**حتى تصيرَ كهيئةِ الشجرَةِ**»، دليلٌ على أنَّ التغيير الذي يحل به استعمال الصورة، إنَّما هوَ الذي يأتي على معالمِ الصورةِ، فيغيرها حتى تصيرُ على هيئةٍ أخرى مباحةٍ كالشَّجرةِ. وعليهِ فلا يجوزُ استعمالُ الصُّورةِ ولو كانتْ بحيثُ لا تعيشُ لو كانتْ حيَّةً كما يقولُ بعضُ الفقهاءِ لأنَّها في هذهِ الحالةِ لا تزالُ صورةً اسماً وحقيقةً، مثلُ الصُّورِ النصفيةِ، وأمثالها، فاعلمْ هذا فإنَّهُ ممَّا يهمُّ المسلم معرفتهُ في هذا العصرِ الذي انتشرت فيهِ الصُّورُ وعمَّتْ وطمَّتْ...

الخامسُ: فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ الصُّورةَ إذا كانتْ مِنَ الجماداتِ فهي جائزةٌ، ولا تمنعُ منْ دخولِ الملائكةِ، لقوله: «**كهيئةِ الشَّجرةِ**»، فإنَّهُ لو كانَ تصويرُ الشَّجرِ حراماً كتصويرِ ذواتِ الأرواحِ، لم يأمر جبريلُ عليه السلام، بتغييرها إلى صورةِ شجرةٍ، وهذا

ظاهرٌ، ويؤيده حديثُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «**وإن كنتَ لا بُدَّ فاعلاً، فاصنَعِ الشَّجَرَةَ، وما لا نَفْسَ له**[1]»[2].

«ويتفرَّعُ ممَّا ذكرنَا أنَّهُ لا يجوزُ لمسلمٍ عارفٍ بحكمِ التَّصويرِ أنْ يشْتَرِيَ ثوباً مصوَّراً ـ ولو للامتهانِ ـ لمَا فيه مِنَ التعاونِ على المنكرِ، فمنِ اشْتَراهُ ولا علمَ لهُ بالمنعِ؛ جازَ لهُ استعمالهُ ممتهناً»[3]

الحِصْنُ الرَّابعُ والثَّلَاثُونَ: الخروجُ عن العَوَائِدِ

ينبغي على العبد أنْ لا يغتر باعتقاده أنَّ مجرَّدَ العلمِ بما ذكرنَا كافٍ في حصولِ المقصودِ، بل لا بدَّ أنْ يضيفَ إليهِ بذلَ الجَهدِ في استعمالهِ، واستفراغَ الوسعِ والطَّاقةِ فيهِ. وملاكُ ذلكَ الخروجُ عَنِ العوائدِ؛ فإنَّها أعداءُ الكمالِ والفلاحِ، فلا أفلحَ مَنِ استمرَّ مَعَ عوائدهِ أبداً، و«إنَّمَا يجدُ المشقَّةَ في تركِ المألوفاتِ والعوائدِ مَنْ تركهَا لغيرِ الله، أمَّا منْ تركهَا صادقاً مخلصاً منْ قلبهِ لله فإنَّهُ لا يجدُ في تركهَا مشقةً إلَّا في أوَّلِ وهلةٍ ليُمْتَحَنَ أصادقٌ هو في تركهَا أمْ كاذبٌ، فإنْ صبرَ على تلكَ المشقة قليلاً استحالتْ لذةً»[4].

---

(١) رواه مسلم (٢١١٠)، وأحمد (١/ ٣٠٨) (٢٨١١).

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦).

(٣) آداب الزفاف (ص١٨٨) [طبعة دار ابن حزم، الطبعة الثالثة].

(٤) الفوائد (ص١٩٩).

ويستعينُ على الخروجِ عَنِ العوائدِ بالهربِ منْ مظانِّ الفتنةِ والبعدِ عنهَا مَا أمكنهُ، كمنْ يهربُ مِنَ الأماكنِ التي فيهَا الصورُ[1] التي تقعَ بها الفتنةُ؛ خشيةَ الافتتانِ بها.

قال رسول الله ﷺ: «**من سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عنه**»[2].

فما استعينَ على التخلُّصِ مِنَ الشرِّ بمثلِ البعدِ عنْ أسبابه ومظانِّهِ.

وهاهنا لطيفةٌ للشَّيطانِ لا يتخلَّصُ منهَا إلَّا حاذقٌ، وهي أنْ يُظْهِرَ له في مظانِّ الشَّرِّ بعضَ شيءٍ مِنَ الخيرِ ـ [كاقتناء التلفاز بحجة مشاهدة البرامج الدينية] ـ ويدعوهُ إلى تحصيلِهِ، فإذا قربَ منهُ ألقاهُ في الشبكةِ[3].

فإذا عرفتَ غرورَ الشَّيطانِ في زعمِهِ هذا، علمتَ حينئذٍ أنَّهُ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٤١): «ومحبَّةُ الصُّورِ وعشقها من موجباتِ الشرك، وكلما كان العبدُ أقربَ إلى الشرك وأبعد من الإخلاصِ كانت محبته بعشق الصور أشدَّ، وكلما كان أكثرَ إخلاصاً وأشدَّ توحيداً، كان أبعدَ من عشقِ الصور، ولهذا أصابَ امرأة العزيز ما أصابها من العشق، لشركها. ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا. فالمخلص قد خلَّصَ حبه لله، فخلصه الله من فتنة عشق الصور. والمشرك قلبه متعلق بغير الله، لم يخلص توحيده وحبه لله عز وجل».

(٢) رواه أبو داود (٤٣١٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٦٢٩).

(٣) عدة الصابرين (ص٨٥ ـ ٨٦).

لا علاجَ إلَّا بالهجْرِ، وإخراجِ التلفازِ مِنَ البيتِ. **ومنْ تذكَّرَ خنقَ الفخِ هانَ عليهِ هجرانُ التلفازِ.**

وقدْ علمتَ أنَّ آدمَ وحواءَ عليهما السلام ـ وهما في دَارِ النَّعيمِ والملكِ التَّامِّ ـ ليسَ لهما فتنةٌ ولا شيءٌ نُهِيَا عنهُ إلَّا شجرة واحدة[1]. فمَا زالَ الشَّيطانُ بهما حتَّى أخرجهما مِنْ جوارِ ربِّهما. فكيفَ بنا في فتنٍ لا تُحصَى في القلبِ والجوارحِ، وما لا يحصى مِنْ ملاذ الدنيا وشهواتها؟.

فاحذرْ رحمكَ الله منْ أن تتعرَّضَ للفتنةِ[2]، فبعيدٌ أنْ يسلم مقارب الفتنة منها. وكما أنّ الحذر مقرونٌ بالنّجاة، فالتعرُّض للفتنة مقرونٌ بالعطب، وندر من يسلم من الفتنة مع مقاربتها. ومن تعرَّض لساحلِ البحرِ وهو لا يحسنُ السِّباحة فالظاهرُ غرقهُ. ومَنِ اقتحم هذا الباب لعبتْ بهِ أمواجهُ، فهو إلى الهلاكِ أدنى منهُ إلى السلامة.

«ومنْ تأمَّلَ هذا الموضعَ وتفقَّهَ فيهِ علمَ شدَّةَ الحاجةِ إليهِ وعظمَ الانتفاعِ به»[3].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» (ص٦٦): «**لمّا طلبَ آدمُ الخلودَ في الجنةِ من جانبِ الشجرةِ عوقبَ بالخروجِ منها، ولمَّا طلبَ يوسف الخروجَ من السجنِ من جهةِ صاحبِ الرؤيا لبثَ فيهِ بضعَ سنين**».

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٦٢): «**ليس لمن قدْ فتن بفتنةٍ دواءٌ مثلِ الصبر، فإنْ صبرَ كانت الفتنة ممحِّصةً لهُ، ومخلِّصة من الذنوب، كما يُخلِّصُ الكيرُ خَبَثَ الذهب والفضة**».

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٠١).

وفي ختام هذه التحصينات ينبغي على المؤمن أنْ يلبَسَ لأُمَةَ الحرب ولا يضعُها عنه ويرابط إلى الموت، «فالأمر قريبٌ، ومدة المرابطة يسيرةٌ جداً، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى دارِهِ، واسترحت من هذا الجهادِ، وفُرِّقَ بينك وبين عدوك، وأُطْلِقْتَ في دارِ الكرامةِ تتقلب فيها كيف شئتَ، وسُجِنَ عدوُّك في أصعب الحبوسِ وأنت تراهُ.

فالسِّجنُ الذي كانَ يريدُ أنْ يودعكَ فيهِ؛ قدْ أُدْخِلَهُ، وأُغْلِقَتْ عليهِ أبوابهُ، وأيسَ مِنَ الروحِ والفرجِ، وأنتَ فيما اشتهتْ نفسُكَ، وقرَّتْ عينُكَ؛ جزاءً على صبركَ في تلكَ المدَّةِ اليسيرةِ، ولزومكَ الثغر للرباطِ، وما كانتْ إلَّا ساعة ثم انقضتْ، وكأنَّ الشدة لمْ تكنْ»[1].

ومتى وضعَ المؤمنُ لأمةَ الحربِ أُسِرَ أو أصيبَ، فلا يزالُ في جهادٍ حتىَّ يلقى الله.

---

(١) صحيح الوابل الصيب (ص٣٥).

الخَاتِمَةُ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلينَ.

قدْ كتبتُ هذا الكتابَ ـ وفيه ما يرْوي الغليلَ، ويشْفي العليلَ ـ وتحرَّيتُ فِيه الرشْدَ، وما أريدُ إلَّا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلّا بالله.

فلنحذر هذا العدوَّ الذي أخرجَ أبانا من الجنّةِ؛ فإنَّهُ ساعٍ في منعنا من العودِ إليها بكلِّ سبيلٍ، والعداوةُ بيننا وبينه قديمةٌ؛ فإنَّهُ ما أُخْرِجَ من الجنَّةِ وطردَ عن الخدمة إلَّا بسبب تكبُّرِهِ على أبينا وامتناعِهِ من السجودِ لهُ لمَّا أُمِرَ بهِ. وقدْ أُبْلِسَ من الرَّحمةِ وأَيِسَ من العودِ إلى الجنّةِ، وتحقَّقَ خلودهُ في النّار، فهو يجتهدُ على أنْ يُخَلِّدَ معهُ في النَّارِ بني آدمَ؛ بتحسينِ الشرْكِ؛ فإنْ عجِزَ قَنِعَ بما دونهُ من الفسوقِ والعصيانِ، وقدْ حذَّرنا مولانا منه، وقدْ أُعْذِرَ مَنْ أنذر، فلنأخذْ حذرنا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وينبغي أنْ نعْلمَ بأنَّنا في جهادٍ[1] عظيمٍ، وأنَّنا نخوضُ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (٣/ ١٠): «جهادُ الشيطان مرتبتان: =

معركةً واحدةً جديدةً صارمةً ضاريةً طويلةً كبرى، وهي معركة دائمة لا تضعُ أوزارهَا؛ لأنَّ الشيطانَ لا يملُّ هذهِ الحرب التي أعلنها منذُ لعنهِ وطردهِ، فهوَ مصرٌّ ماضٍ في طريقهِ.. وأنَّ الجهادَ ـ من ثمَّ ـ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ في كلِّ صورهِ ومجالاتهِ.

وإنَّ المؤمنَ لا يغفلُ عنْ هذهِ المعركة ولا ينسحبُ منهَا؛ بل «يجاهد شيطانهُ بتكذيبِ وعدهِ، ومعصيةِ أمرهِ، وارتكابِ نهيهِ، فإنَّهُ يعدُ الأمانيَّ، ويمنِّي الغرور، ويَعِدُ الفقرَ، ويأمرُ بالفحشاء، وينهى عن التقى والهدى، والعفةِ والصبرِ، وأخلاقِ الإيمانِ كلِّها»[1].

وإنَّ المؤمن حينَ يستحضرُ صورةَ المعركةِ الخالدةِ بينَهُ وبينَ عدوِّهِ القديم، يثيرُ في نفسهِ ـ على الأقلِّ ـ الحذرُ مِنَ الفخِّ الذي نصبهُ العدوُّ، ويتحفَّز بكلِّ قواه وبكلِّ يقظتهِ، لدفعِ الغوايةِ

= جهاده على دفع ما يُلْقي إلى العبد من الشبهات والشُّكوكِ القادحةِ في الإيمان.
الثانيةُ: جهاده على دفع ما يُلْقي من الإراداتِ الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعدة اليقين، والثاني يكون بعدة الصبر.
قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤] فأخبر أنَّ إمامة الدين، إنَّما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات».

(١) زاد المعاد (٣/٨).

والإغراءِ، ويتيقظُ لمداخلِ الشيطانِ إلى نفسهِ، ويكونُ في حالةِ استعدادٍ دائم للمعركةِ التي لا تهدأ لحظةً.

وأغفلُ الغافلينَ منْ يعلم أنَّ لهُ عدوّاً يقفُ لهُ بالمرصادِ، عنْ عمدٍ وقصدٍ، وسابقِ إنْذارٍ وإصرارٍ، ثمَّ لا يأخذُ حِذْرَهُ؛ ثمَّ يزيدُ فيصبحُ تابعاً لهذا العدوِّ الصَّريحِ!

واعلم بأنَّ الشَّيطانُ لهُ معَ سائرِ النَّاسِ عداوةٌ عامَّةٌ، ومعكَ أيُّها المجتهدُ في العبادةِ والعلمِ عداوةٌ خاصَّةٌ، وإنَّ أمركَ له لمهمٌّ، ومعهُ عليكَ أعوانٌ، أشدُّها عليكَ نفْسُكَ وهواكَ، وله أسْبابٌ ومداخلُ وأبْوابٌ أنْتَ عنْها غافلٌ. الشَّيطانُ فارغٌ وأنتَ مشْغولٌ وهو يراكَ وأنتَ لا تراه، وأنتَ تنْساه وهو لا ينْساك، ومنْ نفسكَ للشَّيطان عليك عونٌ. فالحذرَ الحذرَ، فإنَّما هو الورودُ على العطَبِ والمهالكِ والمتالفِ، أوِ النَّجاةُ بفضلِ الله ورحمتهِ.

ولكثرة فتنِ الشَّيطانِ، وتشبثها بالقلوبِ؛ عزَّتِ السَّلامةُ، فإنَّ منْ يَدَعُ ما يَحُثُّ عليه الطبعُ كمدادِ سفينةٍ منحدرةٍ، فيا سُرْعَةَ انْحدارها[1].

اللهمَّ إنِّي عبدُكَ وهذهِ ناصيتي بينَ يديكَ، ولا خلاصَ منْ هذا العدوِّ إلَّا بكَ، وإنِّي مغْلوبٌ فانْتَصِرْ.

---

(١) المنتقى النفيس (ص٥٥).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد: التحذير من شرور الشيطان	٧
(١): الأمر بالبخل والمنع من الإنفاق والأمر بالفواحش	١٣
(٢): الوسوسة للعبد	١٥
(٣): سرقة أموال الناس	١٧
(٤): الإفساد بين المؤمنين بكل طريقة وحيلة	١٩
(٥): دنوه من العبد إذا خرج لما يبغض الله	٢١
(٦): الإصرار العنيد على ملاحقة الإنسان في كل حالة	٢٢
(٧): استقباله للجنين وطعنه في خاصرته	٢٣
(٨): أنه يُري الإنسان مناماتٍ مخيفةً ليحزنه	٢٤
(٩): حرصه على أن ينسيَ العبدَ ما فيه خيره وصلاحه	٢٤
(١٠): حضوره الإنسان عند إرادته عملاً ليفسد عليه النية والقول والعمل	٢٦
(١١): القعود لابن آدم بطرق الخير كلها	٢٨
(١٢): اختلاسه من صلاة العبد إذا التفت	٣٤
(١٣): دخوله في العبد إذا تثاءب ولم يضع يده على فيه	٣٧
(١٤): عقده على رأس العبد إذا نام ثلاث عقد	٣٨
(١٥): جريه من ابن آدم مجرى الدم	٤١
(١٦): تصدَّيه للنبي ﷺ بشهاب ليحرقه به	٤٢
(١٧): جعله العبد يتهاون في صغائر الذنوب	٤٥
الحصن الحصين من الشيطان الرجيم	٥١
(١) الحصن الأول: الإخلاص	٥١

الموضوع	الصفحة

(٢) الحصن الثاني: قراءة القرآن ٥٨
(٣) الحصن الثالث: سورة البقرة ٥٨
(٤) الحصن الرابع: آية الكرسي ٦٠
(٥) الحصن الخامس: آخر آيتين من سورة البقرة ٦٢
(٦) الحصن السادس: المعوذتان ٦٢
أولاً: عند الصباح والمساء ٦٣
ثانياً: عند النوم ٦٤
ثالثاً: في دبر كل صلاة ٦٥
رابعاً: عند المرض ٦٥
(٧) الحصن السابع: التهليل مائة مرة ٦٦
(٨) الحصن الثامن: كثرة ذكر الله تعالى ٦٧
(٩) الحصن التاسع: سجود التلاوة ٦٨
(١٠) الحصن العاشر: التسمية ٧٠
الموضع الأول: إذا عثرت الدابة ٧٠
الموضع الثاني: عند الخروج من البيت ٧١
الموضع الثالث: عند الجماع ٧٢
الموضع الرابع: عند الدخول إلى الخلاء ٧٢
الموضع الخامس: على الطعام ٧٣
(١١) الحصن الحادي عشر: التسليم للقدر ٧٤
(١٢) الحصن الثاني عشر: قيام الليل ٧٦
(١٣) الحصن الثالث عشر: الاستعاذة ٧٧
أولاً: عند التلاوة ٧٨
ثانياً: عند دخول المسجد ٧٨
ثالثاً: عند الدخول إلى الخلاء ٧٩
رابعاً: عند الغضب ٧٩

الموضوع	الصفحة

خامساً: بعد تكبيرة الإحرام قبل القراءة ٨١
سادساً: عند الإحساس بنزَغَاتِ الشيطان ٨٢
سابعاً: الاستعاذة من تخبُّط الشيطان عند الموت ٨٤
ثامناً: عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير ٨٥
تاسعاً: عند الفزع في النوم ٨٦
عاشراً: عند رؤية الإنسان في المنام ما يكره ٨٧
حادي عشر: عند العين والحسد ٨٨
ثاني عشر: عند الصباح والمساء ٨٨
فائدة الاستعاذة ٨٩
(١٤) الحصن الرابع عشر: كظم الغيظ ٨٩
(١٥) الحصن الخامس عشر: تسوية الصفوف ٩١
(١٦) الحصن السادس عشر: الإنفاق في سبيل الله ٩٦
(١٧) الحصن السابع عشر: سجود السهو ٩٦
(١٨) الحصن الثامن عشر: لزوم الجماعة ٩٧
أولاً: صلاة الجماعة ٩٩
ثانياً: الجماعة في السفر ١٠٠
ثالثاً: الاجتماع في المجلس ١٠١
رابعاً: الاجتماع على الطعام ١٠٣
(١٩) الحصن التاسع عشر: الإشارة بالسَّبَّابة في التشهد ١٠٤
(٢٠) الحصن العشرون: الصلاة إلى سترة ١٠٥
(٢١) الحصن الحادي والعشرون: دعاء الله تعالى ١٠٦
(٢٢) الحصن الثاني والعشرون: مخالفة الشيطان ١٠٧
أولاً: العجلة ١٠٧
ثانياً: الجلوس بين الظل والشمس ١١١
ثالثاً: الأكل والشرب ١١٢

الموضوع	الصفحة

رابعاً: الأخذ والعطاء ١١٢
خامساً: الكبر ١١٣
سادساً: الشيطان لا يقيل ١١٥
سابعاً: الشيطان يمشي في النعل الواحدة ١١٥
ثامناً: التبذير و الإسراف ١١٥
(٢٣) الحصن الثالث والعشرون: التوبة والاستغفار ١١٦
(٢٤) الحصن الرابع والعشرون: الكلمة الطيبة ١٢٠
(٢٥) الحصن الخامس والعشرون: الاعتصام بالله ١٢١
(٢٦) الحصن السادس والعشرون: تحقيق العبودية لله تعالى ١٢٤
(٢٧) الحصن السابع والعشرون: اتباع الصراط المستقيم ١٢٨
(٢٨) الحصن الثامن والعشرون: الصيام ١٣٠
(٢٩) الحصن التاسع والعشرون: التعرف على مصائد الشيطان ١٣٢
(٣٠) الحصن الثلاثون: الحياء ١٣٣
(٣١) الحصن الواحد والثلاثون: الأذان والإقامة ١٣٧
(٣٢) الحصن الثاني والثلاثون: مخالفة الهوى ١٣٨
(٣٣) الحصن الثالث والثلاثون: تحصين البيت ١٤١
أولاً: ذكر الله عند الدخول ١٤١
ثانياً: التسليم على الأهل ١٤٢
ثالثًا: كثرة تلاوة القرآن ١٤٣
رابعاً: تطهير البيت من صوت إبليس ١٤٤
خامساً: تطهير البيت من الأجراس ١٥٢
سادساً: تطهير البيت من التصاوير والتماثيل ١٥٤
(٣٤) الحصن الرابع والثلاثون: الخروج عن العوائد ١٥٨
الخـاتمة ١٦٢
الفهرس ١٦٥